روايات مصرية للجيب

العدد الثاني

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

سيف العدالة

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

نبيل فاروق

- مع بدء العـد التـازلى ، نحو القـرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيـل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليـوم

كوكتيل ٢٠٠٠

الولـد ..

لم يسعنى ، وانا ابتاع جريدة الصباح ، من بائع الصحف المجـاور لمنزلى ، إلا ان القى نظـرة طويلة على الأسـتاذ (علوى) ، أستاذ اللغة العربية السابق ، وجارى القديم فى مسكنى ، وهو يحمل كمية هائلة من الصحف ، كعادته منـذ اسبوعين كاملين ، ثم يتخذ مجلسه فى ذلك المقهى المواجـه للمنزل ، ويقلب صفحات الصحف فى اهتمام يملك عليـه كل حواسه ، وهو يبحث فيها عن اسم ابنه الوحيد ..

او عن اسمه هو فى الواقع ..

وفى كل مرة ارى ذلك المشهد ، كنت اعود بذاكرتى مرغما إلى تاريخ الأستاذ (علوى) القديم ..

لقد تزوج الأستاذ (علوى) ــ كعادة الريفيين ــ وهو بعد فى الثامنة عشرة من عمره ، وانجب من زوجته ثلاث بنات ، قبل ان يتخرج من كليـــة المعلمين ، ويصـــبح معلما للغـــة العربية ..

ولكنه لم يكن يشعر بالسعادة ..

كان يتشوق دوما إلى إنجاب ولد يحمل اسمه ، على الرغم من انه لم يكن ثريا ، ولم تكن عائلته ذات ماض عريق ، يحتم ضرورة وجود من ينقل اسمها إلى الأجيال القادمة ..

ومن اجل هذه الرغبة ، ترك الأســـتاذ (علوى) زوجته الريفية تواصل إنجاب البنـــات فى قريتهما ، ونزح هو إلى (القاهرة) ، ليعمل فى مدرسة قريبة من منزلنـــا ، ويتزوج قاهرية شابة ، تصغره بعشرة أعوام ..

وبدا الأستاذ (علوى) شديد الحنق ، عنـــدما انجبت له هذه القاهرية ابنة جميلة ، مما جعلنى اسأله يوما :

ــ الا تحب إنجاب البنات يا استاذ (علوى) ؟

اجابنى فى حنق :

ــ اريد ولدا يحمل اسمى .

قلت ــ يومئذ ــ مبتسما :

ــ البنت ستحمل اسمك ايضا .

لوح بكفه ، قائلا :

ــ البنت لزوجها .. اما ابنـــاء الابن ، واحفاده ، فكلهم سيحملون اسمى انا .

كنت اضحك لحديثه هذا واتعجب له ، فما زلت حتى اليوم ادهش لهذه النرجسية ، التى تدفع الرجال إلى التلهف على إنجـــاب من يحملون أسماءهم ، على الرغم من أن هـــذا لن ينفعهم أو يضيرهم بعد موتهم ، ورحيلهم عن دنيانا ..

ولكن الأستاذ (علوى) كان يتلهف لإنجـــاب ولـــد يحمل اسمه ..

ولقد حصل على مبتغاه ..

فى المرة الثانية ، انجبت له زوجته ابنا ، جعله يطير فرحا ، ويدعو رواد المقهى كلهم لتناول المشروبات على نفقته ..

وبدا وكأن ذلك الابن قد انساه الدنيا كلها ، فلم يعد يزور زوجته الريفيـــة فى قريتهمـــا ، ولم يعد يهتم حتى بزوجته القاهرية ..

اصبح ابنه (أشرف) هو حياته كلها ..

وكان يفخر دوما بأن (أشرف) يحمل اسمه ، حتى انه لم يكن يقدمه إلى اى مخلوق ، إلا باسمه الـــكامل .. (اشرف علوى) ..

وكبر (أشرف) ..

وكبرت معه فرحة الأستاذ (علوى) ..

واقتنص (اشرف) كل الخير من اخواته ..

كل الثياب الجديدة له ..

كل اللعب ..

كل النقود ..

ونشأ (اشرف) مدللا ، فلم يتجاوز سنواته الدراسية إلا فى صعوبة بالغة ، حتى استقر به المقام فى الثانوية العـــامة ، فلم يفارقها أبدا ..

ولم يهتم الأستاذ (علوى) بهذا كثيرا ..

كان يكفيه ان (اشرف) يحمل اسمه ..

وانه سينقله إلى الأجيال القادمة ..

وفجأة ظهرت على (اشرف) علامات الثـــراء ، وسرت شائعة بانه يعمل فى تجارة العملة ، او التهريب ..

ولكن الأستاذ (علوى) لم يهتم ايضا ..

الاسم وحده كان يعنيه ..

وكان يفخر بابنه وثراء ابنه فى كل المجالس ..

وفجأة طالعتنا صحف الصباح بخبر رهيب ..

لقد القى القبض على (اشرف) بتهمة التجسس لحســـاب دولة معادية ..

(اشرف) جاسوس !!..

مفاجأة مذهلة للجميع ..

وبالذات للأستاذ (علوى) ..

لقد بدا ، فى ذلك الصباح ، شـــاحبا ممتقعا ، ذاهـــلا . وجلس على مقعده المعتاد فى المقهى صامتا ، واجما ..

ثم فجأة اندفع نحـــو بائع الصـــحف ، وابتـــاع منـــه كل صحفه ..

وعاد إلى المقهى ..

وفى حزم ، اخرج من جيبـــه ممحاة ، وراح يمحـــو اسم (اشرف) من كل الصحف ..

كان يشعر بعار لا مثيل له ؛ لأن الشاب الذى خان وطنه يحمل اسمه هو ..

ومنذ ذلك الحين ، راح الأستاذ (علوى) يبتاع الصحف يوميـــا ، بقدر ما تسمح به ميزانيته ، ويجلس على المقهى يتصفحها كلمة كلمة ، ويمحـــو بممحاته اى اســـم يشـــبه اسمه .. مجرد شبه ..

وفقد الرجل عقله ..

فقده بسبب ولد ..

ولد يحمل اسمه ..

* * *

السقوط..

اليوم تنتهى مخاوفه ..

اليوم يثبت لنفسه أنه أقوى من كل النبوءات ..

يا لسعادته !..

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح ، وهو يتطلع إلى غروب الشمس ، وذهنه يسترجع تلك الأحداث، التى غيرت حياته كلها ، منذ خمسة أعوام تقريبا ..

كان ذلك فى اثناء زيارة عمل إلى (نيويورك) ، عندما التقى هناك بأشهر منجمة فى القرن العشرين ، التى تنبأت بمقتل الرئيس (كيندى) ، وسقوط

الحكم فى (إيران) ، وغيرها من النبوءات المذهلة ، التى تحققت كلها على نحو لا يتطرق إليه الشك فى موهبة المراة ..

وبدافع من الفضول ، طلب منها أن تنبئه بطالعه ..

وتطلعت المراة إلى وجهه طويلا ، وانعقد حاجباها ، وضاقت عيناها ، ثم قالت فى صوت رهيب ، لم يفارق ذاكرته حتى هذه اللحظة :

ــ أراك تسقط .

غمغم فى دهشة :

ــ أسقط ؟!

اجابته بنفس الصوت الرهيب :

ــ نعم .. أراك تسقط ، وتسقط ، ثم يرتطم جسدك ، وتلقى مصرعك .

ارتجف جسده كله ، وجفت الدماء فى عروقه ، وهو يقول :

ــ متى ؟.. متى يحدث هذا ؟

اجابته وهى تتطلع إلى عينيه :

ــ قبل أن تتم عامك الاربعين .

كان هذا كل ما قالته ..

وكل ما بعثته فى قلبه من رعب ..

لقد راح يبذل اقصى جهده لإقناع نفسه بأنها مخادعة ، وبأن نبوءتها هذه تافهة ، لا تعنى شيئا ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يستبدل بتذكرة عودته على متن الطائرة إلى (القاهرة) تذكرة بحرية ، ليعود إلى موطنه على متن باخرة ، ولا من أن

يستبدل بمسكنه فى الطابق الخامس ، آخر أصغر حجما ، فى طابق أرضى من بناية حديثة البناء ، على الرغم من اعتراض زوجته على السكن فى طابق أرضى ، وسط ضوضاء (القاهرة) ..

ولقد كان آنذاك فى الخامسة والثلاثين من عمره ، ولكنه لم ينس نبوءة المنجمة الأمريكية طيلة السنوات الخمس التالية أبدا ..

وبكل جهده ، راح يتحاشى الأماكن المرتفعة ، التى تزيد على طابق واحد ، حتى انه رفض العمل بضعف مرتبه فى شركة استثمارية جديدة ، لمجرد أنها تتخذ مقرها فى الطابق العاشر من بناية ضخمة ..

واليوم ، وبعد أن تغرب الشمس تماما ، يكون قد أتم عامه الأربعين ..

وتكون النبوءة قد أثبتت فشلها ..

ومع اختفاء قرص الشمس التدريجى فى الأفق ، راح يسخر من نفسه ، لتصديقه هذه النبوءة طيلة خمس سنوات ..

وقرر أن يحتفل مع زوجته بانزياح ذلك العبء عن كتفيه ، فصاح بها :

— ما رأيك فى عشاء فاخر الليلة ، ومسرحية جيدة ؟

تهللت أساريرها ، وهى تقول :

— رائع .. سأرتدى ملابسى على الفور .

هتف فى حماس :

— وسأذهب لحجز التذاكر .

انطلق والحماس يملأ قلبه ، ليعبر الطريق نحو سيارته ، على الجانب المقابل للمنزل ..

ورأى سيارة مسرعة تنطلق نحوه ..

وقفز جانبا ليتفاداها ..

وفجأة وجد نفسه يسقط ..

يسقط ويسقط ، ثم يرتطم جسده بقوة ..

وراح يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وهو يتطلع فى ذهول إلى نجوة صغيرة بعيدة ، بدت منها أضواء الشفق ، بعيد أن اختفى قرص الشمس كله فى الأفق ..

ولم يصدق أنه يحتضر هكذا ، بعد كل ما اتخذه من احتياطات ..

ولا أن هذا ما كانت تقصده المنجمة الأمريكية ..

لقد سقط ، وارتطم بالأرض ، وها هو ذا يلقى مصرعه ..

تماما كما قالت النبوءة ..

مع فارق واحد ..

إنه لم يسقط من عل ..

لقد سقط إلى أسفل ..

إلى أعماق بالوعة مفتوحة ..

هذا هو السقوط ..

* * *

أرقام قياسية

● نجح (مايك) الكندى ، فى تحقيق رقم قياسى جديد ، فى التصفيق ، فقد استمر يفعل ذلك طوال ثلاثة ايام كاملة ، ودون انقطاع تقريبا .

● استطاع (جون ماسيس) البلجيكى أن يجر باسنانه حافلتين ، كل منهما ذات طابقين ، لمسافة تصل إلى المترين وثلث المتر ، وكان وزن الحافلة الواحدة اثنين وعشرين طنا .

● نجح الأمريكى (جون ووتون) ، من ولاية مسشوستش ، فى منع طائرة تبلغ قوة محركها الفا واربعمائة حصان ، من الإقلاع ، بذراعيه فقط .

● بقى العامل الفنلندى (نوامى سيلغو) مستيقظا ، طيلة اثنين وثلاثين يوما ، واثنتى عشرة ساعة ، فقد خلالها خمسة عشر كيلوجراما من وزنه .

● تمكنت الآنسة (ستار) من تقديم رقصة شرقية لمدة مائة ساعة بلا توقف .

● قامت السيدة الفرنسية (بوليت شاروبونتيه) ، البالغة من العمر خمسة وسبعين عاما ، برحلة حول (فرنسا) ، على الأقدام ، مشت خلالها بمعدل ثلاثين كيلومترا يوميا ، لمدة ستة اشهر متتالية ..

● سجل الشاب الأمريكى (كينيث لوبل) ، رقما قياسيا فى القفز على الجليد ، حيث قفز لمسافة تسعة امتار ، فوق سبعة عشر برميلا ، وضعت متجاورة فى صف واحد ، على حلبة (نيويورك) للتزلج .

● أغمض (ريتشارد كابنتر) عينيه ، وعاش فى ظلام اختيارى ، لمدة واحد وعشرين يوما وست ساعات ، وخمس واربعين دقيقة .

● ربح الطالب الأيرلندى (إيريك اورونيل) مباراة قياسية جديدة عندما استمر فى كى ملابسه ، لمدة ثلاث وثلاثين ساعة ، وثلاثة ارباع الساعة بلا توقف .

● ضرب الهندى (راميش شارنا) رقما قياسيا جديدا ، فى طول الأظفار ، إذ بلغ طول اظفار كفيه ، بعـد خمسة عشر عاما بلا تقليم ٦٦ر٤ سم .

● نجحت الآنسة النمساوية (كاثى ويفلر) فى تقشير وتقطيع ما يعادل طوله اثنتين وخمسين مترا من التفاح ، فى إحدى عشرة ساعة ونصف الساعة .

● بلغ طول شارب (جون رونر) متـرا وثلاثـة وتسـعين سنتيمترا ، بعد تسع واربعين سنة من إطلاقه .

* * *

سيف العدالة

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملا ذلك الاسم، الذى يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

د. نبيل فاروق

ملخص ما نشر فى العدد الأول

لم ينجح رائد الشرطة (نديم فوزى) أبدًا فى الالتزام بالإجراءات القانونية، عندما يتعارض القانون مع العدالة الحقيقية، ولقد تسبب عدم التزامه هذا بفصله من جهاز الشرطة، بعد أن تعرض لـ (نعمان والى)، تاجر المخدرات الكبير، الذى يحمل حصانة قانونية خاصة، ورفض العقيد (مجدى) منح (نديم) ترخيصًا بافتتاح مكتب للتحرِّيات الخاصة، بل ألغى ترخيصه بحمل السلاح، ولم يكن أمام (نديم) سوى افتتاح مكتب محاماة خاص، ولكن (نعمان والى) واصل انتقامه منه، وأرسل رجاله لتحطيم المكتب، وقتل (نديم)، وكادوا يفلحون فى ذلك، لولا أن وصلت (غادة)، زميلة (نديم) السابقة، التى اشتركت مع (نديم) فى قتال مع المجرمين، انتهى بفقدها الوعى، وإصابة (نديم) بطعنة مُدية فى معدته، حتَّمت التدخُّل الجراحى لإنقاذ حياته، وعجز عن إثبات تورُّط (نعمان والى) ورجاله فى الأمر، وشعر بعجز القانون البشرى أحيانًا عن القصاص..

ومن هنا ولدت فى أعماقه شخصيته الجديدة..
العقرب..

٤ ـ الحفـــل ..

تألق ذلك القصر الفاخر المنيف ؛ المطل على نيل (القاهرة) الساحر ، باضواء مبهرة ، فى تلك الأمسية من أمسيات اغسطس الدافئة ، وخيل لجيرانه ومشاهديه أن القصر القديم ، الذى يعود إلى عهد أحد أمراء الأسرة العلوية ، قد استعاد مجده ومباهجه ، بعد أن ابتاعه منذ اشهر قليلة ، المليونير المعروف (نعمان والى) ، بمبلغ تبلغ الأصفار المتراصة على يمينه ستة اصفار بالتمام والكمال ..

وكانوا على حق ..

لقد كان (نعمان) يقيم فى قصره الجديد حفلا ضخما ، تكلف مبلغا باهظا بكل المقاييس ، واحتشدت فيه نخبة من صفوة رجال المجتمع ، والفن ، والسياسة ، وانهمك (نعمان) فى الاحتفاء بالجميع ، وإبراز اهتمامه بكل من الحاضرين ، وتقديم مختلف صنوف الطعام والشراب لهم ، فى بذخ شديد ، بهر ضيوفه تماما ، فاقتصرت كل احاديثهم تقريبا عنه ، مما جعل اوداجه تنتفخ ، ودفع رجله الأول (سيد) ، إلى ان يهمس فى اذنه :

ـ لقد أسلت لعابهم حقا أيها الزعيم .

حافظ (نعمان) على ابتسامته أمام الحاضرين ، وهو يهمس فى صرامة :

ـ لا تستخدم لفظ (الزعيم) هذا أبدا ، وإلا قطعت لسانك يا (سيد) .. إننى هنا (نعمان بك) فقط .

ابتسم (سيد) قائلا :

ـ بل انت (نعمان باشا) أيها الزعيم .

أدار (نعمان) عينيه إليه فى صرامة غاضبة ، فاستطرد فى سرعة :

ـ أقصد يا سعادة البك .

كان من الواضح ان (نعمان والى) سيسب الرجل ، أو ينفجر فى وجهه ، لولا ان أتى أحد الحاضرين فى تلك اللحظة ، وسأل (نعمان) ، والانبهار ما زال يملأ جوانحه :

ـ قل لى يا (نعمان بك) .. هل ستعمد إلى ترشيح نفسك فى الدورة القادمة ؟

أجابه (نعمان) ، وهو يرسم على وجهه ابتسامة مناسبة :

ـ بالطبع .

هتف الرجل :

ـ ستربح حتما .

رفع (نعمان) أحد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أهذا رأى شخصى ؟

أطلق الرجل ضحكة كبيرة ، وقال :

ـ لا بالطبع .. إنه عرض عملى .

اتسعت ابتسامة (نعمان) ، وهو يقول :

— وانا رجل احب اقتناص فرصة العروض العملية .

ثم مال نحو الرجل ، مستطردا فى لهجة ذات مغزى :

— ما رايك لو ناقشنا ذلك فى مكتبى ؟

تلفت الرجل حوله فى حذر ، ثم ابتسم ابتسامة متلهفة ، وهو يقول :

— هذا يبدو لى جيدا .

قاده (نعمان) فى هدوء إلى حجرة مكتبه ، وقال لـ (سيد) فى حزم :

— لا احب ان يزعجنا احد .

قال (سيد) :

— بالتأكيد يا سيدى .

اغلق (نعمان) باب مكتبه فى إحكام ، ثم التفت إلى الرجل المصاحب له ، وقال :

— ما خطتك هذه المرة ؟

لوح الرجل بكفه ، وهو يقول فى حماس شره :

— تماما كمـا فعلنا فى المرة السـابقة يا (نعمان بك) ، سنبدل بالصندوق الحقيقى آخـر زائفا ، تحمل كل اوراقـه اسمك .

ابتسم (نعمان) ، مغمغما فى زهو :

— لا .. ليس كلها ، يكفى ثمانون فى المـائة منها ، حتى لا يبدو التبديل واضحا .

ثم استطرد فى صرامة مباغتة :

— على ان يتم الأمر بصورة افضل ، ففى المرة السابقة كاد امركم ينكشف ، بسبب مندوب المرشح المنافس .

ازدرد الرجل لعابه ، وقال :

— اطمئن يا (نعمان بك) ، سيسير كل شىء على ما يرام هذه المرة .

ضرب (نعمان) سطح مكتبه فى حزم ، وهو يقول :

— لابد ، وإلا فلن ادفع باقى المبلغ .

ازدرد الرجل لعابه مرة اخرى ، وغمغم مضطربا :

— بلا شك يا (نعمان) بك .. بلا شك .

استدار (نعمان) إلى خزانته ، وعالج ارقامها السرية فى سرعة ، ثم فتحها ، وتناول منها خمس رزم اوراق نقدية ، وهو يقول :

— سـأعطيك خمسـة آلاف جنيه تحت الحساب، و ...

بتر عبـارته بغتـة ، عنـدما سـقطت بطـاقة صـغيرة من بين الـرزم المالية ، واستقرت فـوق سطح المكتب ، وانعكست الأضواء على رسم لعقرب ذهبى يتوسطهـا ، فحدق فيها (نعمان) فى دهشـة واستنكار ، قبل ان يلقى رزم اوراق النقـد جانبا ، ويهتف محنقا ، وهو يلتقط البطاقة :

ـ ما هذه بحق السماء ؟

ازداد اضطراب الرجل ، وهو يغمغم :

ـ ما هذه يا (نعمان بك) ؟

رفع (نعمان) عينيه إليه فى حدة ، ثم التقط رزم الأوراق النقدية والقاها فى وجهه ، هاتفا :

ـ لا شأن لك بهذه .. خذ نقودك ، وانصرف من هنا ..

انحنى الرجل يلملم النقود فى سرعـــة ، ثم اسرع يغادر الحجرة ، وهو يهتف متلعثما مرتبكا :

ـ كما تأمر يا (نعمان بك) .. كما تأمر .

لم يكد الرجل يغادر الحجـــرة ، حتى هتف (نعمان) فى غضب :

ـ (سيد) .

اسرع إليه (سيد) ، هاتفا :

ـ بم تأمر ايها الزعيم ؟

صرخ (نعمان) ثائرا :

ـ قلت لك الا تستخدم هذا المصطلح ابدا ؟

ثم رفع البطاقة امام وجهه ، مستطردا فى غضب :

ـ ما هذه ؟

تطلع (سيد) إلى البطاقة فى حيرة ، وهو يغمغم :

ـ ما هى ايها الز .. اعنى يا سيدى ؟

صاح (نعمان) فى وجهه :

ـ انا اسألك ايها الغبى .

عاد (سيد) يتطلع إلى البطاقة فى اهتمام مبالغ فيـــه ، ويعقد حاجبيه على نحو مثير للسخرية ، وهو يقول :

ـ إنها بطاقة بيضاء لامعة يا ســـيدى .. تحمل رســـما لعقرب ذهبى اللون فى منتصفها ، و ...

قاطعه (نعمان) فى ثورة :

ـ وهل طالبتك بوصفها اى الغبى ؟.. لقد وجدت هـــذه البطاقة فى خزانتى ، فكيف وصلت إليها ؟

حدق (سيد) فى وجهه فى ذهول ، مرددا :

ـ فى خزانتك ؟!

ثم استطرد حائرا :

ـ ولكن خزانتك من نوع خاص يا سيدى ، وذات طراز فريد ، فهى مصنوعة من صلب مدرع ، يســـتحيل اختراقه بالوسائل التقليدية ، ومزودة بجهـــاز إنذار بالغ التعقيد ، ورقم سرى مركب معقد .. لا يعلمه سواك ، فكيف تصلها هذه البطاقة ، دون ان تعلم عنها شيئا ؟

لوح (نعمان) بذراعيه فى قوة ، وهو يهتف :

ـ لست ادرى كيف ، ولكنها وصلت بالفعل ، وهذا يعنى ان احدهم قد اخترق حاجز سرية خزانتى الخاصة .

هتف (سيد) :

ـ مستحيل يا سيدى !.. مستحيل !!

قال (نعمان) فى حدة :

— ولكن البطاقة هنا ..

امسك (سيد) البطاقة مرة اخرى ، وتطلع فى رهبة إلى العقرب الذهبى الذى يتوسطها ، ثم غمغم :

— وما الذى تعنيه تلك البطاقة ؟

هتف (نعمان) :

— فلتعن ما تعنيه .. هذا لا يهمنى .. المهم ان اعلم كيف بلغت خزانتى الخاصة .

أتاه صوت من خلفه ، يقول فى صرامة :

— أنا وضعتها .

استدار (نعمان) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم تراجع فى حركة حادة عنيفة كالمصعوق ، وقفزت يد (سيد) إلى جيب سترته ، حيث يخفى مسدسه ، لولا ان ارتفع نفس الصوت الصارم يقول فى لهجة قاسية :

— حذار يا رجل .. ستخترق رصاصة مسدسى راسك ، قبل أن تلمس مقبض مسدسك .

أبعد (سيد) يده عن سترته فى بطء ، وهو يتطلع فى دهشة بالغة إلى ذلك الشاب المتشح بالسواد ، الذى يرتدى سروالا وقميصا مغلق العنق ، من اللون الأسود القاتم ، وقفازين من اللون نفسه ، وقد اخفى وجهه ، من منتصف جبهته ، حتى انفه ، بقناع اسود كبير ، انسدلت فوقه خصلة من شعره الأسود الفاحم ، وفى يد الشاب ، كان هناك مسدس ضخم مصوب إلى الرجلين ..

وهتف (نعمان والى) فى عصبية :

— من انت ؟.. واى زى سخيف هذا الذى ترتديه ؟

اجابه الشاب فى برود :

— بطاقتى تحمل اسمى ايها الوغد .

غمغم (نعمان) :

— اى اسم ؟

بدا صوت الشاب قاسيا كالفولاذ ، وهو يقول :

— العقرب يا رجل .. اسمى العقرب .

ران الصمت على الحجرة لحظات ، و (نعمان) و (سيد) يحدقان فى وجه (العقرب) ذى القناع ، قبل ان يهتف (نعمان) فى عصبية :

— يبدو انك قد وصلت إلى هنا من باب الخطإ ، فالزى الذى ترتديه يوحى بانك كنت فى طريقك إلى ستديو سينما ، لا إلى هنا .

اجابه (العقرب) فى برودة قاسية كثلوج القطبين :

— بل إلى سيرك ، ولقد بلغته حتما ، فها هو ذا المهرج امامى ، إلى جوار دب غبى .

عقد (نعمان) حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

— ماذا تقصد ؟

اجابه (العقرب) فى هدوء :

— ايهما تفضل ؟. المهرج ام الدب ؟

احتقن وجه (نعمان) لحظات ، قبل أن يقـول فى حدة :

ـ اسمع يا رجل ، لو أنك لص فأنا ...

قاطعه (العقرب) :

ـ اطمئن .. لســـت لصا .

هتف (نعمـــان) فى عصبية :

ـ لم هذا الزى إذن ؟.. وماذا تريد ؟

ارتجف جسد (نعمان) فى رعب ، مع ذلك الصوت المخيف ، الذى خرج من بين شفتى الشاب المقنع ، مغمغما بالبغض والكراهية ، وهو يقول :

ـ أنت يا (نعمان) .. أريدك أنت .

بدا التوتر على وجه (سيد) ، فى حين تراجع (نعمان) ، هاتفا فى رعب :

ـ هل .. هل ستقتلنى ؟

اجابه الشاب المقنع فى صرامة مخيفة :

ـ لا .. لن اقتلك أيها الوغد .

هتف (نعمان) :

ـ ماذا تريد منى إذن ؟

اجابه بصوت كالفولاذ :

ـ ان ادمرك .

ردد (نعمان) فى ذهول :

ـ تدمرنى ؟

اجابه (العقرب) فى كراهية :

ـ نعم يا (نعمان) .. إن مبتغاى هو تدميرك ، فأنت تمثل كل الشر الذى اكرهه فى الدنيا .. إنك القوة الغاشمة ، التى تتخذ من ثغرات القانون البشرى فجوة للنفاذ إلى عالم لا خير فيه ولا رحمة ، لتعيث فى الأرض فسادا بلا حدود .. أنت رمز كل قذارات البشر يا (نعمان والى) .

صمت المقنع لحظة قصيرة ، ثم اضاف فى صرامة ، تجمدت لها الدماء فى عروق (نعمان) :

ـ ولهذا سأدمرك .

قال (نعمان) فى توتر :

ـــ ربما أنك مخطىء فى تصورك هذا عنى ، فأنـــا رجل شريف ، و ...

قاطعه المقنع فى حزم :

ـــ لا تحاول يا وغد الأوغاد ، فأنا لست قاضـــيا يستمع إلى دفاعك ، ليبنى عليه حكمه ، ولست محاميا يسعى للعثور على ثغـــرة قانونية تدينك .. معى ســـتختلف كل الأمـــور ، وستنقلب كل المعايير .. معى لن يحتاج الأمر إلى أدلـــة أو قرائن ، ولن تصلح الحصانة الدستورية التى تحملها .. معى سيكون طريق العدالة واضحا منبسطا ، بلا تعقيدات .

قال (نعمان) متوترا :

ـــ اسمع .. إننى مستعد لـــ ...

قاطعه مرة اخرى :

ـــ لا فائدة أيها الحقير .. لقد صدر الحكم بشأنك ، وأنا أعمل على تنفيذه فحسب ..

وعاد صوته قاسيا كالفولاذ ، وهو يستطرد :

ـــ استدر أيها الوغد .. انت وذلك الدب الذى يجاورك .

استدار (نعمان) ، وهو يرتجف ، قائلا :

ـــ هل .. هل ستقتلنى ؟

أجابه (العقرب) :

ـــ لا .. لست حقيرا مثلك ، لأطلق النـــار على رجل فى

ظهره ، ثم إننى لا اسعى إلى قتلك ، بل إلى تدميرك ، وهناك فارق كبير بين الأمرين ، فقتلك الآن قـــد يمنحك صـــورة الشهيد ، ويدفع الآلاف للبكاء عليك ، أما ما ســـأفعله بك ، فسيجعلهم يبصقون على وجهك ، وأنت خلف قضبان سجنك .

ارتعد صوت (نعمان) ، وهو يغمغم فى انهيار :

ـــ ولكن .. أنا لست ....

هتف (سيد) بغتة ، وهو يقفز جانبا ، ويدفع زعيمه إلى الجانب الآخر :

ـــ ابتعد أيها الزعيم .

وانتزع مسدسه من جيب ســـترته فى سرعة خرافيـــة ، واستدار إلى حيث وقف (العقرب) ..

واطلق النار ..

* * *

٥ ــ التحـدّى ..

كان وقع دوى الرصاصة فى الحفل اشبه بســباب سوقى بذىء ، انطلق وسط قاعة ناد اجتماعى انيق ، يقتصر ارتياده على علية القوم ، فلقد كان قصر (نعمان) مكتظا بأكبر حشــد ممكن من نجوم المجتمــع ، من مختلف الطوائف ، وكان دوى الرصاصة كافيا لأن يسود المكان صــمت تام ، مفعم برهبــة مبهمة ، واشبه بالهدوء التقليدى ، الذى يسبق اية عاصفة .

ولعل الوصف الأخير هو الأكثــر دقة ، فلم تلبث لحظــة الصــمت أن تفجرت بغتة ، على هيئــة عاصــفة من التوتر والصياح والفزع ، واندفع عدد من الحاضرين يحاولون الفرار من خطر مجهول ، فى حين التف البعض الآخر حــول بعضــه البعض ، وهتف احد ذوى الحيثية ، من رجال السياسة :

ــ ما هذا ؟.. اهو هجوم إرهابى ؟

هتف آخر فى توتر :

ــ ينبغى أن نتصل برجال الشرطة على الفور ..

وصاح ثالث :

ــ ولكن اين (نعمان) بك ؟.. اين هو ؟

هتف رابع :

ــ فى مكتبه .. لقد انطلقت الرصاصة من هناك .

انطلق عدد من الرجــال نحو حجــرة المكتب ، على نحــو غريزى ، وراح بعضهم يدق بابها ، هاتفا :

ــ (نعمان) بك .. ماذا حدث ؟ .. اجب .. ماذا حدث ؟

فى نفس اللحظة ، كان (سيد) يحدق فى نافذة حجرة المكتب ، حيث كان يقف المقنع منذ لحظات ، وهو يهتف ذاهلا :

ــ مستحيل !!.. لقد كان يقف هناك .. لقد اطلقت النار حيث كان يقف مباشرة .. اتلاشى ؟.. ام اننا كنا ....؟

صاح به (نعمان) فى غضب وثورة :

ــ ماذا فعلت ايها الغبى ؟.. اتطلق النار فى حفل ؟!

انتبه (سيد) بغتة لما فعل ، فامتقع وجهه ، وهــو يخفى مسدسه فى جيب سترته فى سرعة ، مغمغما :

ــ معذرة ايها الزعيم .. إننى لم انتبه .

هتف به (نعمان) ، وقد بلغ توتره ذروته :

ــ فلنعمل على تهدئة الحضــور اولا ، ثم حاول أن توقــع بذلك المقنع ، قبل أن يفر من هنا .

قالها واندفع نحو باب حجرة مكتبه ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة ديبلوماسية مناسبة ، وفتح الباب ، وهو يقول ملوحا بذراعيه :

ــ لا داعى للتوتر ايها السادة .. لا داعى للتوتر .. إنما هى تجــربة جهاز امن جــديد .. لم تحــدث اية اضرار .. اطمئنوا .

تنفس الجميع الصعداء ، وهتف احدهم :

ــ يا إلهى يا (نعمان) بك .. لقد ارعبتنا حقا .

اطمئن الجميع لظهور (نعمان) وسط الحفل مرة اخــرى ،

وراح توترهم يتلاشى ، ويذوب تدريجيا مع بذخ موائد الطعام ، وابتسامة (نعمان) المدروسة المرسومة ، فى نفس الوقت الذى كان (سيد) يستشيط فيه غضبا ، وهو يهتف فى وجه احـد رجال امن القصر الخاص :

— كيف لم يره احدكم ؟.. ما مهمتكم هنا إذن ؟.. لقـد تسلل ذلك المقنع إلى حجرة مكتب (نعمان) بك ، وكاد يقتلنا ، دون ان ينتبه إليه احدكم .. يا لخسـارة ما تتقاضونه من مرتبات باهظة !!

اجابه رجل الأمن فى حدة :

— إننا نقوم بعملنا جيدا يا سيدى ، واستطيع ان اجـزم بأن احدا لم يلج بوابة السراى ، دون ان يحمل بطاقة دعـوة رسمية ، وبمجرد ولوج الضـيوف إلى القصر ، تنتهى مهمـة مراقبتهم ، فأنت تعلم ان (نعمان) بك يكره ان يشـعر ضيوفه انهم تحت المراقبة .

عقد (سيد) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

— اتعلم ما يعنيه قولك هذا يا رجل ؟ إنه يعنى ان هذا المقنع قد ولج القصر حاملا بطاقة دعوة ، اى انه احد ضيوف (نعمان) بك .

غمغم الرجل فى حذر :

— ولكن احدا من الضيوف لم يكن يرتدى قناعا ، و ....

قاطعه (سيد) فى حنق :

— تبا لغبائك هذا .. اتتصور انه دخل مرتديا قناعه ؟!.. كلا بالتأكيد ايها الغبى .. لقد ارتدى القناع فى الداخل .. ربما

جاء مرتديا سروالا وقميصا أسودين ، واضاف إليهمـا القناع والقفازين فيما بعد ... أو ...

بدا له لحظة ان حديثه لا يعنى شيئا ، فبتره ليلوح بكفه ، هاتفا فى حنق :

— لا عليك .. دعك من هذا .

وغادر ركن الحراسة ، وهو يستطرد فى سخط :

— اراهن اننا لن نعثر على اثـر لذلك المقنع .. لقـد ربح جولته هذه المرة .. اللعنة ؟

* * *

أطلقت (غادة) ضحكة جذلة عالية ، وهى تجلس إلى جوار (نديم) ، فى سيارة هذا الأخير ، التى ينطلق بها مبتعدا عن قصر (نعمان) ، وهتفت فى سعادة ونشوة غامرتين :

— رائع يا (نديم) .. بداية رائعة بحق .. ولقـد ادركت الآن لماذا لم تحتمل ابدا العمل فى صفوف الشرطـة ، فأنت لم تخلق لذلك ، بل خلقت محتالا حقيقيا .. لقد احسنت اللعبة كما لم يفعلها احد من قبل .

اجابها فى هدوء وبساطة ، وهو ينزع عن وجهـه شـاربا مستعارا :

— لم يكن الأمر متقنا إلى هذا الحد .

هتفت ضاحكة :

— كيف ؟.. إنك تدير اللعبة فى براعة منقطعة النظير .

واعتدلت فى مجلسها ، وهى تضيف فى حماس :

— لقد درست كل شيء فى هدوء وإتقان أحسدك عليهما . فحصلت على واحدة من بطاقات الدعوة إلى حفل (نعمان) ، وقمت بطباعة نسخة طبقة الأصل منها ، ساعدتنا على ان ننضم إلى ضيوف الحفل ، ونحن نحمل صفة الدكتور (برهان سالم) وزوجته ، وكان تنكرك بسيطا وفعالا ، فلقد اكتفيت بصبغ شعرك ليبدو اشيب اللون ، وارتديت شاربا اشيب مستعارا ، ومنظارا طبيا ، ونظرا لأن احدا لم يكن ينتظر حدوث اية مفاجآت ، فلم تكن تحتاج إلى اكثر من هذا التنكر البسيط ، وفى الوقت نفسه كنت تبدو أنيقا فى حلتك ، ذات السروال والقميص الأسودين ، والسترة البيضاء ، ورباط العنق الأبيض ، فلم يكن هناك جهد يذكر ، فى ان ننتحى ركنا قريبا من حجرة المكتب ، نتنزع رباط العنق والسترة ، وترتدى بدلا منهما القناع والقفازين .

قال فى هدوء :

— كان هذا هو ابسط جزء فى اللعبة كلها .

قالت موافقة فى حماس :

— بالتأكيد ، فالجزء الأهم هو الوسيلة التى دسست بها بطاقتك الخاصة فى خزانة (نعمان) .

قال فى بساطة :

— لا ريب انه لن يذوق طعم النوم الليلة ، وهو يحاول إيجاد تفسير لوجود البطاقة داخل خزانته ، ولكنه لن يتصور ابدا انه هو وضعها بنفسه .

اطلقت ضحكة مرحة اخرى ، وهى تقول :

— من الطبيعى الا يخطر هذا بباله ، فهو لا يمتلك مثل ذكائك أيها العبقرى .. فلقد تعمدت انت ان ترسل إليه رجلا ، قبيل الحفل بقليل ، يعرض عليه شراء صفقة كبيرة من مزرعة الدواجن الخاصة به ، ثم ينقده عربونا مناسبا ، وكان من الطبيعى ، وسط انشغال (نعمان) بالإعداد للحفل ، ان يضع النقود فى خزانته الخاصة ، دون ان ينتبه إلى انها تحوى بطاقتك فيما بينها .

تالقت عينا (نديم) ، وهو يقول :

— من الطبيعى الا ينتبه إلى ذلك ، فالأوغاد مثل (نعمان) هذا ، اعتادوا ان ترتبط الحيل دوما بسلب النقود ، لا بمنحها ، لذا فهم لا يشكون فيمن يمنحهم نقودا ، مهما بلغت درجة ثرائهم .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل ان تلتفت إليه (غادة) ، وتقول فى اهتمام جاد :

— اتعلم ان اسلوبك هذا يدهشنى حقا يا (نديم) ؟

سألها :

— لماذا ؟

تنهدت قبل ان تجيب :

— انا واثقة تماما من وجود بركان ثائر فى اعماقك ، فغضبك مما فعله بك رجال (نعمان) منذ ثلاثة اشهر ، لم يتلاشى بعد ، وعلى الرغم من ذلك ، فأنت تخطط للأمر ، وتعده ، وتنفذه فى هدوء عجيب ، وكأنك تضع سيناريو رواية بعيدة عن عالمك الحقيقى .

صمت لحظات ، وهو يقود السيارة ، ثم أجابها فى صـــوت قوى حازم :

ـــ هذا ما عاهدت نفسى عليه ، منذ تم شفائى من طعنـــة خنجر رجال (نعمان) يا (غادة) .. لقد ادركت ، وانا ارقد هناك ، فى المستشفى ، اننى اواجه واحدا من اكثر اوغاد العالم استهتارا بالقيم ، وانه قد اعتاد التلاعب بالقوانين واللوائح ، مستغلا ثغراتها ، ومثل هذا الشخص يحتاج إلى خصم يتجاهل القانون بدوره ، ويتجاوز كل القواعد ، فى سبيل هدف واحد .

صمت وهلة ، ثم اضاف فى حسم :

ـــ فى سبيل العدالة .

ابتسمت فى إشفاق ، وهى تمـــلأ عينيها بوجهـــه النحيـــل الوسيم ، مغمغمة :

ـــ سيتطلب منك هذا جهـــدا فائقا ، فأنت تلعب دورا بالغ الخطورة ، محاولا تقليد (زورو)(*) ، وهذا يجعلك تواجـــه خصمين فى آن واحد ، وكلاهما يمتلك القوة والبأس .

قال فى هدوء :

ـــ كنت اظننى اواجه خصما واحدا ، هو (نعمان والى) .

قالت فى حسم :

ـــ وتواجه الشرطة ايضا .

(*) زورو : شخصية ابتكرها (والت ديزنى) ، وهى عبارة عن فارس مقنع ، يحارب المحتلين الاسبان فى (المكسيك) ، ولقـــد اقتبس (ديزنى) الشخصية ، من الفولكلور الاسبانى القديم ، فى غرب (كاليفورنيا) .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال فى هدوء :

ـــ إننى اواجه الشرطة دوما ، حتى وانا اعمل فى صفوفها .

قالت فى هدوء ممائل :

ـــ المواجهة ستكون اكثر صعوبة هذه المرة ، فعملك اقرب إلى عمل الخـــارجين عن القانون ، وســـيستثير هذا رجـــال الشرطة .

مضت لحظات من الصمت ، قبل ان يقول :

ـــ ولكننى لست اظن (نعمان والى) يبلغ الشرطة هـــذه المـــرة .

قالت فى حزم :

ـــ وما الذى يمنعه ؟

اجابها فى بساطة :

ـــ خوفه على سمعته .

ادهشها الجواب ، فقالت فى حيرة :

ـــ هل لك ان تفسر لى هذه النقطة ؟

اجاب فى هدوء :

ـــ هل تذكرين رد فعلك ، عنـــدما اخبرتك بعـــد مغادرتى المستشفى ، اننى سأتحول إلى شخصية (العقرب) ؟

قالت فى اهتمام :

ـــ بالطبع ، فلقد ادهشنى ذلك فى شدة ، وقلت لك ايامها انك تحاول تقليد الأفلام السينمائية ، وان الفـــارس المقنـــع لا وجود له فى الحياة الحقيقية .

قال :

ـــ عظيم .. لو انك الليلة فى موضع (نعمان والى) ، ورايت فجأة شخصا مقنعا ، يشبه فرسان السينما ، فهل ستبلغين الشرطة بذلك ؟

ترددت لحظة ، قبل أن تبتسم مجيبة :

ـــ لا .. لست اظننى سافعل .

سألها فى اهتمام :

ـــ لماذا ؟

أجابته ضاحكة :

ـــ لأن احدا لن يصدقنى ، وسيتصورونني واهمة .

قال فى ارتياح :

ـــ لهذا بالذات اخترت ذلك الزى الأسود ، ذا القناع .

ابتسمت فى حنان ، وهى تتأمل ملامحه الوسيمة مرة اخرى ، قبل أن تسأله فى خفوت :

ـــ حسنا .. ما خطوتك التالية ؟

أجابها فى حزم :

ـــ لقد واجهت اليوم (نعمان والى) ، وتحديته على نحـــو سافر صريح ، وهو يعلم الآن ان رجلا مقنعا يسعى خلفـــه ، وان شعار هذا الرجل هو (العقرب) ، وسيربكه هذا كثيرا ، خاصة وان المعركة هذه المرة ستكون اشبه بحرب عصابات ، لا مجال فيها لثغرات القانون ، التى ينفذ منها دوما ، ولا فائدة لحصانته القانونية الخاصة .

قالت فى شغف :

ـــ إنك لم تجب سؤالى بعد .

واصل فى هدوء ، وكأنه لم يشعر بمقاطعتها :

ـــ وهناك مبدأ تعلمته فى حلبة الملاكمة ، الا وهو ان افضل وسيلة للنصر ، هى إنهاك الخصم أولا ، قبل توجيـــه الضربة القاضية إليه ، وهذا ما سنفعله مع (نعمان) ، فســـاحيل حياته إلى جحيم ، قبل ان يتلقى اللسعة الأخيرة ..

وصمت لحظة ، ثم اضاف فى صوت حمل قوته وصـــلابته وحزمه :

ـــ لسعة (العقرب) ..

* * *

٦ ــ حَلْبة النزال ..

على الرغم من تلك الابتسامة الدبلوماسية ، التى لم تفارق شفتى (نعمان والى) حتى نهاية الحفل ، إلا ان عروقه كانت تنتفض طيلة الوقت فى غضب وتوتر ، وعقله لم يهدأ عن التفكير لحظة واحدة .

ومع نهاية الحفل ، وانصراف المدعوين ، مال نحو الرجل ، الذى تقاضى منه رشوة الانتخابات ، وقال فى صرامة :

ــ انتظر يا (فؤاد) .. اريدك وحدك ..

شحب وجه (فؤاد) فى شدة ، وإن لم يملك سوى ان يغمغم فى صوت اشد شحوبا من وجهه :

ــ كما تأمر يا (نعمان) بك .. كما تأمر ..

انتحى الرجل جانبا ، وهو يرتجف ، حتى انتهى (نعمان) من وداع ضيوفه ، ثم التفت إليه ، وحدجه بنظـرة صـارمة طويلة ، قبل ان يقول :

ــ اتبعنى .

قالها واتجه إلى حجـرة مكتبه ، فتبعه الرجـل وسـاقاه تصطكان رعبا ، وخلفه (سيد) بقامته المديدة وجسده الضخم ، المفتول ، حتى وصل الموكب الصغير إلى حجرة مكتب (نعمان) ، فأغلق (سيد) باب الحجرة فى إحكام ، ووقف أمامـه عاقـدا

ساعديه أمام صدره ، فى حين جلس (نعمان) خلف مكتبـه ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وراح يتطلع إلى (فؤاد) فى برود صارم ، فازدرد (فؤاد) لعابه فى صـعوبة ، وغمغـم والعرق البارد يغمر وجهه :

ــ هل هناك شىء ما يا (نعمان) بك .

ظل (نعمان) يحدجه بنفس النظرة الباردة الصارمة الصامتة لحظات ، قبل ان يميل نحوه ، قائلا بغتة :

ــ ما رأيك الشخصى فى (نعمان والى) يا (فؤاد) ؟

ازدرد (فؤاد) لعابه فى عسر ، وابتسم ابتسامة عصـبية متوترة ، وهو يغمغم :

ــ لماذا يا (نعمان) بك ؟

هب (نعمان) من مقعده بغتة ، وضرب سطح مكتبه براحته فى قوة ، وهو يهتف فى غضب :

ــ لأننى اكره ان يخدعنى احد .

غابت الدماء من وجه (فؤاد) تماما ، وهو يقول فى همس يفيض بالرعب :

ــ يخـدعك ؟

صاح (نعمان) :

ــ نعم يا (فؤاد) .. يخدعنى .

انكمش (فؤاد) فى مقعده ، وراح يرتجف كعصفور مبتل فى مهب الريح ، وتجمعت دمعة كبيرة فى عينيه ، وهو يقول :

ـ (نعمان) بك .. إننى ....

قاطعه (نعمان) وقد هدأ فجأة :

ـ اتعلم كيف بلغت أنا كل ما بلغته يا (فؤاد) ؟.. لقـد فعلت لأننى أفكر .

واشار إلى رأسه ، هاتفا فى حدة :

ـ أفكر جيدا ..

وعاد صوته إلى هدوئه بغتة ، وهو يتابع :

ـ ربما لا تدرك قيمة التفكير ، ولكنه حقا شىء رائع ، فأنا ادرس كل أمر يواجهنى ، وامحصه بمنتهى الدقة ، حتى يقتنع به عقلى .

ولوح بذراعه مرددا :

ـ تماما كما فعلت الليلة .

تمتم (فؤاد) ، وقد شارف الانهيار :

ـ (نعمان) بك .. صدقنى .. إننى ....

أوقفه (نعمان) بإشارة صارمة من يده ، وهو يتابع :

ـ الليلة بدا لى كل ما حدث عجيبا ، مثيرا للدهشة والحيرة ، فلقد تحدثت إلى أنت حـول الانتخابات القادمة ، ودفعتنى بحديثك إلى محاولة إتمام صفقة تذرة معك على الفور ، وكان هذا يستتبع بالضرورة ذهابنا معا إلى حجرة مكتبى ، وفتحى خزانتى ، وعندما فعلت ، وجدت داخل الخزانة بطاقة تحمل رسما لعقرب ذهبى ، وفجأة ظهر فى مكتبى رجل مقنع ، متشح بالسواد ، هددنى بتحطيم حياتى تماما ، واختفى ذلك المقنـع بغته .. سيناريو رائع ، يشبه كثيرا أحد أفلام (والت ديزنى) الشهيرة ، ولكن ....

بتر عبارته ، وهـو يميل نحو (فـؤاد) ، مسـتطردا فى صرامة :

ـ لم يقنع عقلى بهذا أبدا .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، متابعا :

ـ كان من المحتم أن يكون هناك تفسير منطقى لكل هذا ، ولقد قضيت السهرة كلها أفكر ، وأبحث عن تفسير الأحداث ، وبعـد كل هـذا الجهد العقلى ، وجـدت تفسير الكثير من الأحداث ، فالبطاقة يمكن دسها فى رزمة أوراق نقـد ، بحيث أضعها أنا بنفسى فى الخزانة ، دون أن أنتبه إلى ذلك ، والمقنع يمكنه أن يتسلل إلى قصرى ببطاقة دعوة مزيفة ، وهو يخفى زيه أسفل حلة سهرة أنيقة ، ويمكنه أيضا أن يقفز مغـادرا المكان ، قبل أن تصـيبه رصاصة (سيد) ، فينزع قناعه وقفازيه فى سرعة ، ويرتدى سترة أنيقة ، ورباط عنق طريف ، ويختفى بين المدعوين .. كل هذا ممكن ومنطقى .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

ـ فيما عدا نقطة واحدة .

بدا (فؤاد) أقرب ما يكون إلى الانهيار ، وهو يغمغم :

ـ (نعمان) بك ....

قاطعه (نعمان) فى غضب :

ـ هذه النقطة هى المصادفة العجيبة ، التى جعلتك تدفعنى إلى حجرة المكتب ، وإلى منحك النقود ، فى نفس التوقيت الذى

ظهر فيه ذلك المقنع ، الذى يظن نفسه بطلا من أبطال روايات السينما الأمريكية .

ولوح بذراعيه ، مستطردا فى حدة :

— وانا رجـل معقد فى الواقع ، لا أميل ابدا إلى الإيمـان بالمصادفات ، حتى اننى اتساءل الآن ، ماذا كان سيفعل هذا المقنع ، لو اننى لم اذهب معك إلى حجـرة المكتب ؟.. كيف كان سيواجهنى بهذه الصفاقة ؟

انهار (فؤاد) تماما ، وانحدرت دموعه عى وجنتيه ، وهو يهتف :

— الرحمة يا (نعمان) بك !! الرحمة !!

صاح به (نعمان) فى ثورة :

— إذن فقد خنتنى أيها القـذر !!.. كيف جرؤت ؟.. كم تقاضيت مقابل هذا ؟

هتف (فؤاد) فى انهيار :

— لم أتقاض قرشا واحدا يا (نعمان) بك .. صدقنى .. لقد عثر ذلك (العقرب) على ادلة تدينني ، فى واقعة رشـوة سابقة ، وهددنى بتقديم الأدلة إلى النيابة ، ما لم ادفعك إلى دخول مكتبك وسط الحفل ، فى توقيت محـدود ، ولم .. ولم أجد ضيرا فى ذلك .. اقسم لك إن هذه كل الحقيقة .

انعقد حاجبا (سيد) فى توتر ، فى حين انقض (نعمـان) على (فؤاد) ، وجذبه من ياقة سترته فى عنف ، لينتزعه من مقعده فى قسوة ، وهو يهتف به :

— وكيف يبدو هذا (العقرب) ؟.. من هو ؟.. من يشبه ؟

هتف الرجل منهارا :

— لست ادرى .. اقسم لك لست ادرى .. لقد فوجئت به فى حجرة نومى ، مرتديا ذلك القناع المخيف ، ولست ادرى من هو .. اقسم لك .

دفعه (نعمان) إلى مقعده مرة أخرى ، وهو يهتف :

— ايها الحقير ..

ثم اعتدل ، مستطردا فى توتر بالغ ، موجهـا حديثـه إلى (سيد) :

— يبدو اننا نواجه خصما مختلفا هذه المرة يا (سيد) ، فمن الواضح ان هذا (العقرب) يجيد التخطيط إلى درجة مخيفة ، وانه مثلى ، لا يترك مجالا فى عمله للمصادفات ، ثم إنه يمتاز بجراة نادرة ، حتى يواجهنى فى قصرى على هذا النحو ، وهو فى الوقت ذاته ذكى ، حيث ادرك ان الحفل فى القصر سيعيقنى عن مواجهته كمـا ينبغى ، وسيسمح له بالإفـلات منى فى سـهولة ، ثم إنه يملك عقلية تقليدية ، تاثرت كثيرا بأفـلام الخيال ، مما يدفعه إلى اتخاذ زى مثير كزيه هذا ، وقنـاع غامض ، أضف إلى هذا أنه — كما اعلن بنفسـه — لا يتبع قانونا ولا قواعد ..

وصمت لحظة ، ثم اضاف فى حزم :

— إننا نواجه خصما مخيفا بحق هذه المرة .. نواجه عقربا بشريا .

وصمت لحظة اخرى ، قبل أن يضيف فى توتر ملحوظ :

ـــ ويا له من عقرب !..

* * *

تثاءب حارس مزرعة الثعالب ، التى يمتلكها (نعمان والى)، وهو يقول لزميله فى ضجر :

ـــ يا لها من مهنة سقيمة !! إننا نقضى ليلنا كله لحراسة عدد من الثعالب القذرة الجائعة .

ابتسم زميله ، وهو يقول :

ـــ هذه الثعالب القذرة يباع فراؤهـــا بمئـــات الجنيهـــات يا رجل ، ويقال إن الجوع هو الذى يجعل فراء الثعلب اكثـــر جودة ، ثم إننا نتقاضى راتبا محترما لقاء هذا .

ابتسم الأول فى ملل ، وهو يقول :

ـــ تصور اننى لم اسمع فى حياتى كلها عن مزارع الثعـــالب هذه ، قبل أن التحق بالعمل فى خدمة (نعمان والى) هـــذا ، وحتى بعد أن عملت بها ، ما زلت اشعر بالدهشة لوجودها فى (مصر) .

هز زميله كتفيه ، وقال :

ـــ إنها ليست الأولى من نوعهـــا فى (مصر) ، ثم إنك مع (نعمان والى) تلتقى دوما بالجـــديد ، فهو يمتلك العديد من المنشآت : مزرعة الثعالب هذه ، ومزرعة ضخمة للدواجن ، وشركة هندسية كبرى للمقاولات ، وملهى ليليا .

هتف الأول ذاهلا :

ـــ ملهى ليليا ؟!.. هل يمتلك (نعمان والى) ملهى ليليا ؟

ابتسم زميله ابتسامة العالم ببواطن الأمور ، وقال :

ـــ إنه يمتلكه فعليا ، ولكن الملهى مسجل باسم (ســـيد) ، الرجل الأول بعده .

هز الأول راسه ، مغمغما :

ـــ عجيب هو (نعمان) هذا .. إنه ....

بتر عبارته بغتة ، على نحو اثار دهشة زميله ، فاعتـــدل يسأله :

ـــ ماذا هناك ؟

اشار إلى اضواء سيارة قريبة ، وهو يقول :

ـــ هناك سيارة توقفت إلى جوار سور المزرعة .

ابتسم زميله وهو يقول :

ـــ وماذا فى هذا ؟.. المزرعة مقامة على الطريق مباشرة ، ثم من يفكر فى سرقة ثعالب ؟!

قال الأول فى صرامة :

ـــ من يدرى ؟

ثم امسك مسدسه ، مستطردا :

ـــ ساتحرى الأمر .

هز زميله كتفيه ، مغمغما :

ـــ كما يحلو لك .. سابقى انا هنا .

استرخى فى مقعده ، يراقب زميـــله ، الذى غـــادر بوابة المزرعة ، واتجه نحو سيارة النقل الضخمة ، ذات الصندوق الخلفى المغلق ، وهو يضع كفه فوق عينيه ، متلاشيا ضـــوء مصباحى السيارة المبهر ، وهاتفا :

ـــ هل لديك مشكلة أيها السائق ؟

اتاه صوت انثوى يقول :

ـــ بل عدة مشاكل أيها الزميل .

انتبهت حواس الحارس كلها ، مع سماع الصوت الانثوى ، وقال فى دهشـة :

ـــ انت امراة ؟

شاهد مع الضوء المبهر ظل انثى تغادر كابينة قيادة السيارة الضخمة ، وسمع صوتها تقول فى لهجة اقرب إلى السخرية :

ـــ يقولون سيدة أيها الوقح .

لم يدر لماذا رفع مسدسه ، وهو يهتف فى دهشـة :

ـــ ماذا ؟

وفجأة تحركت قدم الأنثى فى مرونة انيقة ، وركلت مسدسه فى قوة ، فأطاحت به بعيدا ، ثم عادت إلى موقعهـــا ، وهـــو يتراجع هاتفا :

ـــ من انت ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى تفزت قدمها الأخـــرى إلى فكه ، لتخرسه تماما ، فهوى عند قدميها فاقد الوعى ، فهب زميله من مكانه ، وهتف فى حدة :

ـــ اللعنة !.. ما هذا ؟

اندفع خارج كشك الحراســـة ، وهو يشهر مســـدسه ، صائحا فى لهجة صارمة حازمة :

ـــ قفى وإلا ....

قبل ان يتم عبارته ، قفز جسد متشح بالسواد من فوق صندوق سيارة النقـــل الضـــخمة ، واستقر على قدميه امامه تماما ..

وتراجع الحـــارس فى دهشة ، وهو يرى امامه رجـــلا مقنعا ، أطلت صرامة الدنيا كلهـــا من عينيه ، ورفع فوهـــة مسدسه إليـــه فى سرعة وخوف ، ولكن المقنـــع تحرك فى سرعة مدهشة ، فأحنى راسه ، ورفع ساعده الأيسر ليدفع ذراع الحارس ، الممسكة بالمسدس ، إلى اعـــلى ، ثم انقضت قبضته اليمنى على فك الحارس كالقنبلة .

وتراجع الحارس فى عنف ، إثر اللكمة ، وقبل ان يعتدل مرة اخرى ، غاصت قدم المقنع فى معدته ، وقفزت قبضته اليسرى تحسم الصراع بلكمة ساحقة ..

وسقط الحارس الثانى فاقد الوعى ، وهتفت (غادة) :

ــ رائع .. من الواضح انك قد استفدت كثيرا من عملك بالشرطة .

قال (العقرب) فى هدوء ، وهو يجذب الحارس إلى كشك الحراسة :

ــ هل تحتاجين إلى مكبر صوتى لإعلان هذا ؟

ضحكت مغمغمة :

ــ ربما فيما بعد .

ثم جذبت الحارس الآخر إلى الكشك ، وهى تستطرد :

ــ لقد فاجأتنى بهذه العملية فى الواقع ، فلقد تصورت اننا سنخلد للنوم ، بعد عملية الحفل .

قال فى هدوء :

ــ افضل وسيلة لتشكيل الحديد ، هى طرقه ساخنا ، ثم إن لعبة الليلة تروق لى كثيرا ، وستكون افضل وسيلة للإعلان عن (العقرب) .

راحا يقيدان الحارسين ، ويكمان فمهما فى إحكام ، ثم اخرج هو من جيبه واحدة من بطاقاته ، وثبتها فى ياقة احد الحارسين ، وهو يقول فى فخر :

ــ (العقرب) فعل هذا .

ثم التفت إلى زميلته ، مستطردا :

ــ هيا بنا .. فسيحتاج منا الجزء الأول من اللعبة بعض الوقت .

واتجه نحو سيارة النقل الضخمة فى هدوء .

كان قد اختار أول حلبة لنزاله مع (نعمان والى) ..

وأول إعلان لمولد سيف العدالة المسلط على رءوس المجرمين ..

العقرب ..

* * *

٧ ــ إعـلان ميـلاد ..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السادسة صباحا بعد ، عندما ارتفع رنين الهاتف المجاور لفراش (نعمان والى) مباشرة ، فنهض هذا الاخير هاتفا فى حنق :

ــ اللعنة !! إننى لم احصل على قدر كاف من النوم بعد .

القى نظرة محنقة على ساعة معصمه ، ثم رفع سماعة الهاتف ، وهو يقول فى حدة :

ــ أتعشم أن يكون سبب اتصالك ، فى مثل هذه الساعة ، مناسبا ، وإلا فإننى اقسم ان ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه ، وهو يقول فى توتر :

ــ من ؟!.. لماذا تتصلون بى فى هذا الوقت المبكر ؟

قفز من فراشه ، وقفز حاجباه إلى اعلى ، فى مزيج من الدهشة والذعر والاستنكار ، وبدا وكأنهما سيتجاوزان فروة راسه ، من شدة ارتفاعهما ، وهو يصرخ :

ــ كيف ؟!.. اللعنة !! كيف حدث هذا ؟

استمع لحظات ، والغيظ يملأ كل خلجة من خلجاته ، قبل أن يعاود الصراخ :

ــ (العقرب) ؟!.. (العقرب) مرة اخرى ؟.

ثم ارتفع حاجباه مرة ثانية ، وهو يواصل صراخه :

ــ أيها الأغبياء .. كيف يفعل بكم هذا .. ايها الحمقى ؟

واتسعت عيناه فى ذعر ، مستطردا :

ــ ابلغتم الشرطة ؟!.. ولماذا فعلتم ؟!.. مهما كان الأمر ، كان من الضرورى استشارتى اولا .

واعاد سماعة الهاتف فى قوة كادت تحطمها ، وهو يقفز من فراشه ، هاتفا فى سخط :

ــ يا للأغبياء !! يا للأوغاد !! يا للحمقى !!

ارتدى ثيابه فى عجلة شديدة ، ثم اندفع خارج حجرة نومه ، وصرخ فى رئيس خدمه ، الذى استيقظ قلقا لحركة سيده ، فى هذه الساعة المبكرة من الصباح :

ــ اتصل بـ (سيد) ، واطلب منه ان يحضر إلى هنا على الفور ، وايقظ ذلك السائق الكسول ، واطلب منه إعداد السيارة الكبيرة .

اشعل واحدة من سجائره ، وراح ينفث دخانها فى عصبية وهو يردد محنقا :

ــ ماذا يريد منى هذا المقنع اللعين ؟.. ماذا يبتغى مما يفعله بى ؟

لم يكد ينتهى من سيجارته ، حتى وصل (سيد) الذى يقيم بجناح ملحق بالقصر ، وهو يقول فى قلق وتوتر :

— مـــاذا حـــدث ايهـــا الزعيم ؟. لمـــاذا اســـتيقظت مبكرا هكذا ؟

صرخ به (نعمان) :

— ســـأقطع لســـانك إذا ما خاطبتنى بذلك اللقب مرة اخرى .

تراجع (سيد) ، مغمغما :

— معذرة يا (نعمان) بك .. معذرة .

هتف (نعمان) فى حنق :

— هيا بنا .. ينبغى ان ننطلق على الفـــور إلى مزرعـــة الدواجن .

ساله وهو يتبعه فى قلق :

— لمـــاذا ؟.. ماذا حدث هناك ؟

قال (نعمان) فى سخط ، وهو يقفز إلى المقعد الخلفى لسيارته الفاخرة ، التى اعدها سائقه الخاص للانطـــلاق على الفور :

— لقد ضرب (العقرب) ضربته الثانية هناك .

لم يكد (سعيد) يقفـــز إلى جواره ، حتى انطلقت بهما السيارة ، وهو يهتف فى ذهول :

— ضرب ماذا ؟!.. وماذا فعـــل ؟.. هل قتل الدجـــاج كله ؟

ضرب (نعمان) فخذه براحته فى ثورة ، وهو يقول :

— بل .. لقد نفذ ضربة مزدوجة ، فذهب بســـيارة نقل ضخمة إلى مزرعـــة الثعالب ، وهزم حارسيها ، وحمـــل كل الثعالب الجائعة فى صندوق السيارة الضخم ، ثم تسلل إلى مزرعة الدواجن ، وفتح كل الأقفاص ، وبعدها اقتحم المزرعة بسيارة النقل الضخمة ، واطلق سراح الثعالب ، وتركهـــا تقتنص الدجاجات فى شراهة .

استمع إليه (سيد) ، وهـــو يغمغم فاه ذهـــولا ، قبل ان يتمتم :

— يا له من رجل !!.

ثم اضاف فى غضب :

— إننى لم أتوقع ابدا ان يضرب ضربته الثانية فى اللبـــلة ذاتها .

قال (نعمان) ، وهو يعض نواجذه غضبا وغيظا :

— ولا أنا .. ولكن من الواضح ان هذا (العقرب) اذكى منا جميعا .

ثم اضاف ، وهو يلوح بذراعه فى سخط :

— والادهى ان حراس مزرعة الدواجن الأغبياء قد ابلغوا رجال الشرطة ، ولم يعد بإمكاننا إخفاء امر هذا اللعين .

عقد (سيد) حاجبيه مفكرا ، وهو يقول :

— وماذا فى هذا يا (نعمان) بك ؟.. إننى اجد هذا افضل كثيرا ، فعندما نتحالف مع الشرطة ، ستزداد فرصة الإيقاع بهذا المتجبر كثيرا ، فمن المستحيل ان ينجح رجل واحد فى هزيمتنا نحن والشرطة معا .

تطلع إليـه (نعمان) فى صمت لحظـات ، ثم هز راسه ، مغمغما :

— نعم .. ربما كان هذا افضل ؛ لقطع ذنب (العقرب) .

ثم ضم قبضته فى شدة ، مستطردا :

— وبعدها ساسحقه بنفسى .. ساسحقه سحقا ..

* * *

عقد العقيد (مجدى) حاجبيه فى شدة ، وهو يدير عينيه فى ارجاء مزرعة (نعمان والى) للدواجن ، قبل ان يقول فى حدة :

— اى شيطان فعل هذا ؟.. لقد أطلق الثعالب الشرهة على الدجاج ، وترك قانون الطبيعة يعمل .

ابتسم اللواء (حلمى) ، وهو يقول فى هدوء :

— إنها فكرة لا تخلو من الطرافة على اية حال .

تطلع إليه (مجدى) فى دهشة واستنكار ، فأضـاف فى رصانة :

— ولكنها جريمة على كل الأحوال .

ثم التفت إلى رئيس حراس مزرعة الدواجن ، يسأله :

— كيف بدا كل هذا ؟

قال كبير الحراس ، فى انفعال واضح :

— لقد حدث كل شىء فى سرعة ، فلقد كنا نستبدل نوبة حراسة ليلية ، عندما ارتفعت أصوات الدجاج ، كما لو ان اقفاصها قد فتحت ، وهذه الاقفاص تفتح بوسيلة اليكترونية، بحيث يكفى الضغط على زر واحد لفتحها كلها .. المهم ان صوتها جعلنى اطلب من اثنين من رجالنا تفقد الأمر ، وعندما ذهبا إلى حيث الأقفـاص ، فوجئا برجـل مقنع ، متشـح بالسواد يقفز متجاوزا سور المزرعة إلى الخارج .

عقـد العقيـد (مجدى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول فى استنكار :

— مقنـع متشـح بالسواد ؟!!

اشار إليه اللواء (حلمى) ان يصمت ، وهو يسأل كبير الحراس :

— الم يطلق عليه رجلاك النار ؟

قال الرجل منفعلا :

— لقد أخرجا مسدسيهما بالفعل ، وقبل ان يطلق احدهما رصاصة واحدة ، اقتحمت سيارة النقل الضخمة بوابة المزرعة ، وانفتح صندوقهـا الخلفى ، واندفع منه مئات الثعالب الشرهة .

وارتجف جسده ، وهو يستعيد ذكرى الموقف ، قبل ان يستطرد فى شحوب :

ـ وكان موقفا رهيبا ، فقد راحت الثعالب تعدو فى كل الاتجاهات ، مما اصابنا بالرعب ، فرحنا نطلق النيران عليها ، ولكن الجزء الأكبر منها انطلق نحو اقفاص الدجـــاج ، وراح يلتهم الدواجن فى شراهة .

وانتفض جسده مرة اخرى ، قبل ان يردف :

ـ كان موقفا رهيبا بحق .

ساله اللواء (حلمى) فى اهتمام :

ـ وماذا فعل المقنع ؟

قال الرجل فى ضيق :

ـ لحق بسيارة النقل ، التى تقودها زميلته ، وانطلقـــا مبتعدين ، دون ان ننجح فى ملاحقتهما ، بسبب الاضطراب الهائل ، الذى اصاب المكان .

هتف العقيد (مجدى) فى دهشة :

ـ زميلته ؟!.. ومن ادراك ان من كان يقود الســـيارة الضخمة فتاة ؟

تطلع إليه الرجل فى حيرة ، وهو يقول :

ـ إننى لم أرها فى الواقع ، ولكن زميلينا فى مزرعة الثعالب قالا إنها فتاة .

قال اللواء (حلمى) :

ـ حسنا .. إننى افهم ذلك ، فلقد اخبرنـــا زميـــلاك فى مزرعة الثعالب ما لديهما ، بعد ان أطلقنا سراحهما ، ولقـــد وجدنا فى باقة احدهما بطاقة تحمل رسما لعقرب ذهبى .

هتف كبير الحراس :

ـ يا إلهى !!.. لقد وجدنا مثلها مثبتة عند زر التحكم فى فتح اقفاص الدجاج .

قال العقيد (مجدى) فى حدة :

ـ اية سخافة هـذه ؟.. من ذلك المجرم التافه ، الذى يحاول تقليد (ارسين لوبين) ؟

غمغم اللواء (حلمى) :

ـ ربما هو ليس تافها كما تتصور يا رجل .

ثم شرد بذهنه ، مستطردا فى خفوت ، وكأنمـــا يحدث نفسه :

ـ رجل وفتاة !!.. يا للعجب !

قال (مجدى) فى ضيق :

ـ هذا الأمر يبدو لى سخيفا .

أشار (حلمى) إلى نهاية مزرعة الدواجن ، قائلا :

ـ يبدو انك ستجد من يشاركك فى هذا الشعور ، فلقد وصل (نعمان والى) ..

غادر (نعمان والى) سيارته فى هذه اللحظة ، وراح يتلفت حوله كالمجنون ، وهو يردد فى غضب هائل :

ـــ لقد أطلق الحراس الأغبياء النار على ثعالبى .. لقـد افسدوا الفراء الثمين .

قال اللواء (حلمى) فى هدوء :

ـــ يمكنك ترحيل هذا إلى بند الخسائر يا سيد (نعمان) .

هتف (نعمان) محنقا :

ـــ بند الخسائر ؟!.. لا يا سيادة اللـواء .. إننى رجل اومن بنظريـــة الثـــأر ، ولن يهدأ لى بال حتى توقعوا بذلك المجرم اللعين ، الذى حطم مزرعتين من مزارعى فى ليلـــة واحدة .

قال اللواء (حلمى) ، دون أن يفارقه هدوءه :

ـــ ثق اننا سنبذل اقصى جهدنا يا سيد (نعمان) ، ولكن قل لى اولا : الديك فكرة عمن فعل بك هذا ؟

فكر (نعمان) لحظة فى إخفاء ما لديه ، إلا انه لم يلبث ان اندفع قائلا :

ـــ بالتأكيد .. إنه (العقرب) .

عقد (مجدى) حاجبيه فى استنكار ، هاتفا :

ـــ من ؟!

ادار (نعمـان) عينيـــه إليه ، قائلا فى حدة :

ـــ (العقـــرب) .. إنه شاب وقح مقنع ، يترك خلفه دوما بطاقة ، تحمل رسمـــا لعقرب من الذهب .

ردد (مجدى) فى استهجان :

ـــ مقنع وعقارب ذهبية ؟!.. اى هراء هذا ؟!.. إننـــا فى (مصر) ، ولسنا فى أحد افلام المغامرات الهزلية الأمريكية !!

اشار إليه اللواء (حلمى) أن يصمت ، ثم سال (نعمان) فى اهتمام :

ـــ وما الذى يجعلك واثقا من أمر (العقرب) إلى هـــذا الحد ؟

اجابه فى حدة :

ـــ لأنه هاجمنى فى قصرى ، وترك لى بطاقته ؟

ارتفع حاجبا (مجدى) فى دهشـة ، وهو يهتف :

ـــ فى قصرك ؟!

أما اللواء (حلمى) ، فقد ابتسم ، وكأنما راق له الأمر ، وهو يقول بنفس الهدوء :

— فى قصرك ، ووســـط رجـــالك وأمنك ؟!.. يا له من جرىء !

هتف (نعمان) فى حنق :

— إنه وقح ، لقد وقف على نافذة حجرة مكتبى ، يحدثنى عن الفارق بين العدالة والقانون .

ابتسم اللواء (حلمى) اكثر ، وساله :

— قل لى يا سيد (نعمان) .. هل يمكنك ان تصف ذلك الشاب ؟

قال (نعمان) فى عصبية :

— إنه نحيل ، ممشوق القوام ، طويل ، ولقد كان يرتدى قناعا أسود اللون وزوجا من القفازات السوداء ، و ...

قاطعه اللواء (حلمى) فى اهتمام :

— هل يمكنك تعرفه ؟

حدق (نعمان) فى وجهه بدهشة ، قبل ان يلوح بكفه ، هاتفا فى حنق :

— قلت لك إنه كان يخفى وجهه بقناع اسود .

قال اللواء (حلمى) فى هدوء :

— إذن فانت تعجز عن تعرفه .

التفت العقيد (مجدى) إلى رئيسه فى دهشة ، فقد خيل إليه أنه قد نطق عبارته الأخيرة فى ارتياح ، وإن لم ينتبه (نعمان) إلى هذا ، وهو يهتف محنقا :

— بالطبع .

ابتسم اللواء (حلمى) فى ارتياح ، وهو يقول :

— حسنا يا سيد (نعمان) ، سأرسل فى طلب رجل المعمل الجنائى ، لفحص المكان ، وسأرسل إليهم البطاقات ، للبحث عن أية بصمات فوقها ، كما سأقوم بتوزيع نشرة بأوصـــاف المقنع .

غمغم (نعمان) فى سخط :

— لست اظن ذلك يفيدنا شيئا .

قال اللواء (حلمى) فى هدوء :

— من يدرى يا سيد (نعمان) ؟ من يدرى ؟

وعندما اتجه إلى سيارة الشرطة ، كان يضيف فى همس :

— حان الوقت لتتجرع من نفس الكأس .

ساله (مجدى) ، وسيارة الشرطة تنطلق بهما مبتعدة :

— الا يبدو لك كل هذا مثيرا للدهشة والحيرة يا سيدى ؟!.. شاب مقنع ، وفتاة ، وبطاقات تحمـــل عقربا ذهبيـــا .. هذه الأمور لم تحدث ابدا فى (مصر) .

ابتسم اللواء (حلمى) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

— لكل شىء بداية يا ولدى ، ومن الواضـــح اننا نشهد لحظة ميلاد ..

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

— ميلاد (العقرب) ..

* * *

٨ ــ بلا كلل ..

فى الوقت الذى وقف فيه (نعمان) يرغى ويزبد ، وســـط مزرعة الدواجن ، توقفت سيارة من طراز قديم ، أمام إسطبله الخاص ، على بعد كيلومترات قليلة من (القاهرة) ، وهبط منها كهل اشيب الشعر ، يرتدى منظارا طبيا كبيرا ، وقـــد اطلق لحيته الشيباء ، وتبعته ممرضة حسناء ، فى زيها الأبيض التقليدى ، واتجه الاثنان نحو حارس الإسطبل ، وقال الكهل فى لهجة تحمل الكثير من نفاد الصبر :

ــ أهذا إسطبل (نعمان والى) ؟

اجابه حارس الإسطبل فى حذر :

ــ نعم .. هذا إسطبل (نعمان بك والى) ، ماذا تريدان ؟

قال الكهل فى ضيق :

ــ أنا الطبيب البيطرى الجديد ، هلا افسحت لنا الطـــريق لنفحص ذلك الجواد ، الذى سيشارك فى سباق اليوم .

عقد الحارس حاجبيه ، وهو يقول :

ــ مستحيل !.. إننى أجهل من أنت ، فهذه الجياد يرعاها الدكتور (بدران) ، وهذا الجواد بالذات يمنع سيدى اقتراب اى كائن منه ، فى أيام السباق بالذات ، فهو جواده المفضل .

قال الكهل فى غضب :

ــ هـــل تتهمنى بالكذب ايهـــا الوقـــح ؟.. إننى الطبيب البيطرى الجديد ، فلقد ترك (بدران) العمل امس ، ورئيسك امرنى شخصيا بفحص الجواد ، وهذه ورقة موقعة باسمه .

القى الحارس نظرة على توقيع (نعمان) ، ثم قال فى حزم :

ــ ولكن السيد لم يرسل اية أوراق من قبل .. إنه يتحدث عبر الهاتف عادة .

قال الكهل فى حنق :

ــ هاتفكم معطل ، وليس لدى الوقت الكافى لهذا العبث .. هل افحص الجواد قبل السباق ، أم تتحمل انت المسئولية امام رئيسك ؟

تردد الحـــارس لحظات ، وعاد يلقى نظـــرة على توقيـــع (نعمان) ، ثم قال وهو يدس الورقة فى جيبه :

ــ لا بأس .. يمكنك فحصه .

ثم استدرك فى حزم :

ــ ولكننى سأحتفظ بالأمر المكتوب .

ابتسمت الممرضة ، وقالت :

ــ بالطبع يا فتى .. احتفظ به .

هتف الحارس بغتة :

ــ مهلا لحظة .

والتقط سماعة الهاتف ، ووضـــعها فوق اذنه لحظات ، ثم اعادها إلى موضعها مغمغما :

ــ إنه معطل بالفعل .. يمكنكما فحص الجواد .

ابتسم الكهل قائلا :

ــ شكرا يا ولدى .. لن تندم على قرارك هذا .. لن تندم ابدا ..

* * *

عاد (نعمان) إلى قصره فى التاسعة والنصف ، والغضب يعصف بنفسه ، وراح يسب ساخطا طيلة الوقت ، وهو يقول لـ (سيد) :

ــ يبدو انها لن تكون ابدا معركة هينة يا (سيد) ، ولكم يحنقنى هذا ، انا الذى قاتلت على كل الجبهات ، ولم اخسر معركة واحدة قط .

غمغم (سيد) :

ــ هذه المعركة تختلف يا سيدى .

هتف محتقنا :

ــ بالتأكيد ، فنحن لا نقاتل جهازا قانونيا ، برع محامى فى مراوغته ، والإفلات منه .. إننا نواجه فردا واحدا ، يبغضنى أشد البغض ، ولا يتبع اية قواعد معروفة .

اضاف (سيد) :

ــ ثم إنه يتحرك فى سرعة مريبة .

زفر (نعمان) فى قوة ، وهو يقول :

ــ وهذا ما يقلقنى .

واستطرد وهو يدور حول مكتبه فى توتر .

ــ ترى اين سيضرب ضربته القادمة ؟.. اين ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاختطف سماعته فى سرعة ، ووضعها على اذنه ، قائلا :

ــ هنا (نعمان والى) ، من المتحدث ؟

ارتجف جسده فى قوة ، حينما جاءه الجواب بكلمة واحدة :

ــ (العقرب) ..

عجز لنصف الدقيقة عن التفوه بحرف واحد ، ثم هتف فى صوت متحشرج ، يموج بالغضب والانفعال :

ــ ماذا تريد ؟

اتاه الصوت الصارم القوى يقول :

ــ لا شىء .. اردت ان اخبرك انى قد قمت بزيارة لجوادك المفضل (رهوان) ، الذى يستعد لخوض سباق اليوم .

اتسعت عينا (نعمان) ، واشتدت قبضته على سماعة الهاتف ، وهو يقول فى حدة :

ــ ماذا فعلت به ؟

اجابه الصوت الصارم :

ــ اطمئن .. مجرد منوم قوى .. لن يشارك جوادك العزيز فى سباق اليوم حتما ، ولكننى علقت فى اذنه بطاقتى .

صرخ (نعمان) :

ــ ايها الوغد .. ايها الحقير .

اجابه صوت حازم ، تتجمد له الدماء فى العروق :

ــ انت هو الوغد الحقير يا (نعمان) ، وما هى إلا البداية فحسب .. لقد سبق ان اخبرتك انه لن يهدا لى بال حتى ادمرك تدميرا .. هل تذكر ؟

أعاد (نعمان) سماعة الهاتف فى عنف ، وقد احتقن وجهه فى شدة ، فسأله (سيد) فى قلق :

ـ اكان هو ؟

اجابه فى توتر واضح :

ـ نعم .. كان هو .

ثم لوح بيـــده مستطردا فى ثورة :

ـ لقـد دس منـوما قـــويا لـ (رهوان) .

ارتفـع حاجبـا (سـيد) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!.. وكيف توصل إليه ؟

اشعل (نعمان) سيجارته فى عصبية ، وهو يقول :

ـ من الواضح انه يعلم كل شىء عنى .

ونفث دخان السيجارة فى قوة ، وهو يستطرد :

ـ وانه يجيد اللعبة .

هتف (سيد) فى غضب :

ـ وهل سنتركه يلعبها حتى النهاية ؟

عقد (نعمان) حاجبيه فى قوة ، وبدا من الواضح انه يفكر فى عمق ، وهو يقول :

ـ من الواضح انه يسـعى إلى إنهاكى بضربات سريعـة متتالية ، قبل أن يضرب ضربته الكبرى ، ومن الواضح ايضا أن هذه الضربات السريعة تتجه كلها إلى ممتلكاتى المعروفة .

ساله (سيد) فى اهتمام :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟

جذب (نعمان) نفسا قويا من سيجارته ، وتألقت عيناه فى شراسة ، وهو يجيب :

ـ نستعد للضربة القادمة بالتأكيد .

ثم التفت إلى (سيد) ، مستطردا فى حماس :

ـ مر رجالنا بتشديد الحراسة على كل ممتلكاتى ، واخبرهم اننى سأمنح كل من يعمل بإذنى بطاقة خاصـة ، عليهـم ان يطالبوا الجميع بإبرازها ، على الا يشاع الأمـر ، وفى هـذه الحالة سيكون (العقرب) وحده هو الذى لا يحمل البطاقـة الخاصة ، لأنه يجهل وجودها .

قال (سيد) بنفس الحماس :

ـ هل اطلب منهم إلقاء القبض عليه ، فور كشفهم امره ؟

اجابه (نعمان) فى حزم :

ـ الم تسمع ما قاله (العقرب) بنفسه يا رجل ؟!.. إننا لا نتبع قواعد القانون هذه المرة ، ولهذا لن نطالب رجالنا بإلقاء القبض عليه .

وعادت عيناه تتألقان بنفس الشراسة ، وهو يستطرد :

ـ بل بقتله .. قتله على الفور ..

* * *

ترى هل ينجو العقرب من هذا الخطر الجديد؟

ترقب البقية فى العدد الثالث

من

كوكتيـل ٢٠٠٠

استيقظ (هاشم) ، الكاتب القصصى المعروف ، فى ذلك الصباح ، وهو يشعر بخمول شديد ، على عكس عادته ، حينما ينهض من فراشه ، دوما فى نشاط ، وفتح عينيه فى تراخ ، وهو يتأمل ما حوله ..

وفجأة هب جالسا ..

اين هو ؟..

إنه ليس فى حجرته !!..

وزوجته ليست إلى جواره !!..

صحيح ان تلك الحجرة الواسعة تبدو له مألوفة ، بذلك المعطف المضاد للمطر ، المعلق فوق المشجب فى نهايتها ، وهذا الفراش الصغير ، القريب من الأرض ، ولوحة الأسلحة التى تحتل نصف الحائط المواجه للفراش ، إلا انه لا يذكر اين رآها ، ولا كيف جاء إلى هنا ..

وفجأة ، أدرك لماذا بدت له الحجرة مألوفة ؟..

إنها حجرة (جاسر الرهيب) ، تماما كما يصفها هو فى قصصه ..

ولكن هذا مستحيل !!..

لا وجود لـ (جاسر الرهيب) أو حجرته فى عالم الواقع ..

إنه هو مبتكر شخصية (جاسر الرهيب) ..

هو صنعها من ثنايا عقله ..

وهو وصف حجرته ..

راح يدير عينيه فى الحجرة مرة اخرى فى ذهول ، وتذكر كيف انه اوى إلى فراشه امس ، بعد ان انتهى من احد فصول رواية جديدة من روايات (جاسر الرهيب) ، ولاح له أن هذا هو سبب ما يحدث له الآن ، فعاد يرقد على الفراش القريب من الأرض ، ويسبل عينيه مغمغما :

ــ اهدأ يا (هاشم) .. الخيال لا يتحول ابدا إلى حقيقة .. إنما هو حلم .. مجرد حلم ..

* * *

استيقظت (مروة) زوجة (هاشم) من نومها فى تمام الثامنة كالمعتاد ، وتثاءبت فى قوة ، وهى تغمغم مبتسمة :

ــ صباح آخر جميل .

وتثاءبت مرة ثانية فى تراخ ، ثم استدارت إلى زوجهـا توقظه ..

وارتدت فجأة كالمصعوقة ..

واتسعت عيناها فى رعب وذهول ..

لم يكن النائم إلى جوارها زوجها ..

كان شخصا آخر ، وسيم الملامح ، قوى البنيـة ، يبدو وجهه مألوفا ، على الرغم من ثقتها بأنها لم تره فى حياتهـا ابدا ..

من هو هذا الرجل ؟..

كيف وصل إلى فراشها ؟

وأين زوجها ؟

فتح الرجل عينيه فى هذه اللحظـة ، فاجفلت ، وحاولت إخفاء جسدها بغطاء الفراش ، وهى تهتف به فى رعب :

ـ من انت ؟.. اين زوجى ؟

نهض الرجل من الفراش فى نشاط ، وقال مبتسما :

ـ انا (جاسر) .. (جاسر الرهيب) .

حدقت فى وجهه بذهول ، وهى تردد :

ـ (جاسر الرهيب) ؟!

ثم هتفت فى حدة :

ـ مستحيل !.. (جاسر الرهيب) ليس شـخصية حقيقية .. إنه شخصية خيالية ابتكرها زوجى .

اجابها فى هدوء ، ودون ان تفارقه ابتسامته :

ـ كان هذا حقيقيا حتى مساء امس .

هتفت فى توتر :

ـ ثم ماذا ؟

هز كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ ثم تبادلنا الأماكن .

لم تفهم ما يعنيه ، فغمغمت :

ـ ثم ماذا ؟

طرقع إصبعيه ، تماما كما يفعل فى القصص التى يكتبهـا زوجها ، وهو يقول :

ـ تبادلنا الأماكن .. لقد سئمت كونى شخصية خيالية ، يدفع بها هو فى صراعات لا تنتهى ، ويعرضها لمخاطر لا حصر لها ، لمجرد ان يثير القراء ويحبس انفاسهم ، ثم يحوز هو كل الشهرة والثراء ، ولهذا فقد قررت ليلة أمس أن اتحول انـا إلى شخصية حقيقية ، واتركه هو لعالم الخيال ، وصراعاته اللانهائية .

كان يتحدث تماما كما يصفه زوجها فى رواياته ، وادركت هى لمـاذا بدت لها ملامحه مألوفة ؟ لأنها نفس الملامح التى

يصفها زوجها دوما ، ولكنها لم تصدق ابدا ما تسمعه اذناها ، فالتقطت سماعة الهاتف ، وهى تقول فى حزم :

ـ سأتصل بالشرطة .

هز الرجل كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ كما يحلو لك .

ادهشها انه لم يحاول حتى اعتراضها ، فأسرعت تطلب رقم الشرطة ، وهى تردد فى ذهول :

ـ مستحيل !!.. هذا حلم .. حتما هو حلم ..

* * *

اغلق (هاشم) عينيه طويلا ، وحاول ان يجبر نفسه على النوم ، او على الاقتناع بانه يعيش حلما ، إلا انه عجز عن هـذا تماما ، فملمس الفراش الخشن ، والصمت الرهيب المحيط به ، كانا يؤكدان انه يعيش حقيقة ؛ لذا فقد عاد يجلس على الفراش ، ويدير عينيه فيما حوله ، مغمغما :

ـ ولكن هذا مستحيل !!

غادر الفراش القريب من الارض ، وراح يدور فى الحجرة الواسعة فى دهشة لا حد لها ..

كل شىء كما وصفه فى رواياته تماما ..

إنها حجرة (جاسر الرهيب) ولا شك ..

ولكن كيف حدث هذا ؟..

كيف اصبحت هذه الحجرة حقيقة ؟..

كيف انتقل هو إليها ؟!..

لم يستغرق وقتا طويلا ليستسلم لواقع الأمر ، فهو ـ على عكس زوجته ـ يمتلك عقلية قادرة على استيعاب اصعب الأمور واكثرها خيالا ..

ولقد خلع منـامته ، وارتدى حلة (جـاسر الرهيب) ، ومعطفه المضاد للمطر ، ثم وقف امام خزانة الأسلحة يقـول لنفسه :

ـ إنه نفس الموقف الذى تركت عليه (جاسر الرهيب) ، فى نهاية الفصل الذى كتبته أمس .. كان قد اسـتيقظ على القو ، وارتدى ثيابه ، ووقف امام خزانة اسلحته ، ينتقى لنفسه مسدسا جيدا ، عندما سمع صوت سيارة تتوقف ، ويغادرها (قبارى) القاتل ، و...

قبل أن يتم عبارته ، تناهى إلى مسامعه صـوت سيارة تتوقف ، فأسرع إلى نافذة الحجرة ، ورأى امامه فراغا هائلا بلا نهاية ، وسيارة تقف أمام المنزل ، ويغادرها رجل بالغ الضخامة ، شرس الملامح ، يحمل مدفعا رشاشا ، وينطلق نحو المنزل فى وحشية رهيبة ..

وتراجع (هاشم) فى رعب ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا .. هذا حلم .. حلم بالتاكيد ..

* * *

حدق رائد الشرطة فى وجه (جاسر) ، وهو يقول :

— إذن فأنت شخصية روائية ، قفزت إلى عالم الخيال .

اجابه (جاسر) فى هدوء :

— هذا حقيقى .. لقد تبادلت الأماكن مع (هاشم) ، و...

صاح به الرائد فى غضب :

— أانت مجنون ؟ أم انك تحاول إصابتى بالجنون ؟

اجابه (جاسر) فى صرامة :

— لا هذا ولا ذاك .. إننى اخبرك بالحقيقة فحسب .

صرخ به :

— اية حقيقة ؟!

وهتف (مروة) :

— هذا الرجل محتال رهيب .. لقد اختطف زوجى ويريد أن يحل محله .

قال الرائد ، وهو يتطلع إلى وجه (جاسر) فى صرامة :

— بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

ثم التفت إلى جندى مصاحب له ، واستطرد :

— خذ بصماته ، وائتنى بصحيفة سوابقه كلها .

قال (جاسر) فى سخرية :

— بصماتى .. ليست لى اية بصمات .

ثم رفع راحتيه المفرودتين فى مواجهة الرائد ، الذى حدق فى اطراف الأصابع فى ذهول ، وهتف :

— ولكن هذا مستحيل !!.. اصابعك لا تحمل اية بصمات بالفعل .. لا يوجد بشرى كهذا .

اعاد (جاسر) راحتيه إلى جواره ، وهو يهز راسه مبتسما ، ويقول فى بساطة :

— وما ذنبى انا .. (هاشم) هو المسئول .. هو ابتكرنى ، ولم يحتج يوما إلى بصماتى ، فلم يمنحنى إياها ابدا .. إنها مسئوليته هو .

تراجع الرائد فى ذهول ، وهو يردد :

— مستحيل !! إنك لست بشريا ، او ان كل هذا مجرد حلم .. حلم سخيف .

* * *

شعر (هاشم) برعب هائل ، وهو يسمع وقع اقدام (قبارى) ، الذى يصعد إلى منزله بجسده الضخم ، واندفع نحو خزانة الأسلحة ، وهو يهتف فى توتر بالغ :

— ماذا كان (جاسر الرهيب) سيفعل ، لو انه فى مكانى الآن ؟ .. ربما كان سيختار مسدسا ضخما كهذا .. (ماجنوم ٤٤) ..

تناول المسدس الضخم من خزانة الاسلحة ، ثم تراجع نحو باب خلفى ، وهو يقول :

ـ ولكننى لست (جاسر الرهيب) ؛ لذا فالوسيلة المثلى امامى هى ....

قبل أن يتم عبارته ، هوت رصاصات مدفع (قبارى) الآلى على رتاج باب الحجرة ، فصاح (هاشم) مكملا :

ـ هى الفرار ..

دفع الباب الخلفى ، وانطلق يعدو بكل قوته صاعدا إلى السطح ، ومن خلفه سمع وقع اقدام (قبـارى) الثقيلة ، فهتف فى رعب :

ـ لا .. لا ينبغى أن يلحق بى .. سيقتلنى لو فعل .. لست املك مهارة (جاسر) ولا قوته .. إننى مجرد شخص عادى .

بلغ سطح المنزل ، وبدا له المشهد رهيبا ، والمنزل يسبح كله وسط فراغ لانهائى مخيف ، وراح يبحث عن مخرج ، حتى سمع صوت (قبارى) من خلفه يقول فى وحشية :

ـ لقد وقعت اخيرا يا (جاسر الرهيب) .

التفت إليه فى رعب ، وهو يهتف :

ـ لا .. لست (جاسر الرهيب) .. انا (هاشم) .. انا ...

قاطعه (قبارى) بضحكة وحشية رهيبة ، وهو يقول :

ـ لا فائدة .. لقد وقعت اخيرا فى يدى .. لا فائدة .

وصوب فوهة مدفعه الآلى نحو (هاشم) ، الذى صرخ فى رعب :

ـ لا .. لا تطلق النار ..

ولكن (قبارى) ضغط زناد مدفعه الآلى ..

واختلطت ضحكته الوحشية بدوى الرصاصات ..

* * *

ظل رائد الشرطة يحدق فى وجه (جاسر) طويلا ، قبل أن يغمغم فى اضطراب ملحوظ :

ـ من انت ؟

اجابه (جاسر) فى هدوء :

ـ قلت لكم من قبل إن اسمى هو (جاسر الرهيب) .

هتفت (مروة) :

ـ مستحيل !

ثم اتجهت إليه ، وقالت فى توسل :

ـ لو انك هو حقا ، فاعد إلى زوجى .

تطلع (جاسر) إلى عينيها ، مغمغما :

ـ ولكن يا سيدتى ، إنهـا فرصتى الوحيدة لولوج عالم الحقيقية ، و...

قاطعته فى ضراعة :

ـ لم يكن (جاسر) الحقيقى ليتخلى عن سيدة فى محنة كمحنتى .. اعد إلى زوجى .. ارجوك .

تردد (جاسر) لحظة ، ثم قال فى حزم :

— لا بأس .. ساعيده .

سأله الضابط فى ذهول :

— وكيف ستفعل ؟

اجابه (جاسر) فى برود :

— بنفس الوسيلة .. عبر عالم الاحلام .

واتجه فى هدوء إلى حجرة النوم ، وهو يقول لـ (مروة) :

— وداعا يا سيدتى .. كان من الممتع حقـا ان اعيش فى عالم الحقيقة .

اتجه نحو الفراش ، ورقد فوقه ، واخفى جسـده كله بالغطاء ، فغمغم الرائد فى توتر :

— يبدو اننا نعيش حلما مزعجا .

هتف به احد جنوده فى رعب ، وهو يشير إلى الفراش :

— انظر يا سيدى .. الغطاء يتبدل ، كما لو ان هنـاك جسدا آخر يحل محل جسد الرجل الذى رقـد تحته منـذ لحظات .

اتسعت عينا الرائد ، وهو يهتف ذاهلا :

— لكن هذا مستحيل !.. مستحيل تماما !!

وهتفت (مروة) :

— زوجى .. لقد عاد ..

واندفعت فى لهفة نحو الفراش ، وجذبت الغطـاء عن الجسد الراقد فوقه ، ثم اتسعت عيناها فى رعب ، واطلقت صرخة هائلة ..

لقد عاد إليها زوجها ..

عاد جثة هامدة ، اخترقتها عشر رصاصات ..

رصاصات (قبارى) ..

وراحت (مروة) تصرخ فى انهيار تام وسط ذهول الرائد وجنوده :

— لا .. هذا حلم .. حلم .. حلم ....

ولكنها لم تستيقظ منه ابدا ..

* * *

اختبر معلوماتك

عزيزى القارىء .. فى هذه المرة ايضا تواجه السؤال نفسه .. هل انت مثقف ؟.. ومرة اخرى انصحك ، قبل ان تجيب عنه ، ان تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية :

١ ــ (عنتر) و (عبلة) ، هما اشهر عاشقين فى التاريخ ، ويندر ان تجد من يجهلهما ، او يجهل قصتهما ، فهل تعلم معنى اسم (عبلة) ؟

٢ ــ من كان يستوطن (فلسطين) ، عندما هاجر إليها اليهود ، بقيادة سيدنا (موسى) ؟

٣ ــ (محمد بو خروبة) ، هو الاسم الحقيقى لزعيم عربى كبير ، استبدل به اسما آخر ؛ لأسباب سياسية ، فما الاسم الذى عرف به هذا الزعيم ؟

٤ ــ كان لشعب (القوازق) دور هام فى تاريخ (أوربا) والشرق . فما معنى (قوازق) ؟ وما ديانة هذا الشعب ؟

٥ ــ ما درجة القرابة بين المهاتما (غاندى) ، و (انديرا غاندى) ؟

٦ ــ (الحبشة) هى الموطن الأصلى للبن ، و (الصين) هى الموطن الأصلى للشاى . فما الموطن الأصلى للقطن ؟

٧ ــ ما اول دولة اتبعت نظام التوقيت الصيفى ؟

٨ ــ نقول فى وصف الخائف : « ارتعدت فرائصه » . فما هى الفرائص ؟

٩ ــ ما الدولة الوحيدة التى لا تضع اسمها على طوابع البريد الخاصة بها ؟.. ولماذا ؟

١٠ــ نستخدم دوما كلمة (قاموس) ، للتدليل على معاجم الكلمات ، ولكن ما المعنى الحقيقى للكلمة ؟

١١ــ فى التهنئة بالزواج نقول « بالرفاء والبنين » ، فما معنى (الرفاء) ؟

١٢ــ من المعروف ان الدين الإسلامى يسمح بتعدد الزوجات، حتى اربع ، مع العدل بينهن ، والدين المسيحى لا يسمح بذلك قط . فما موقف البوذية من هذا ؟

١٣— ما أصل كلمة (بيجاما) ؟

١٤— من أشهر ثنائيات الغناء (المظ) و (عبده الحامولى) .. ما معنى اسم (المظ) ؟

١٥— ما أول فيلم غنائى عربى ؟.. ومن أبطاله ؟

١٦— كثيرات فى تاريخ الشعر حملن لقب (الخنساء) . فما معنى (خنساء) ؟

١٧— لماذا حمل البحر الأسود هذا الاسم ؟

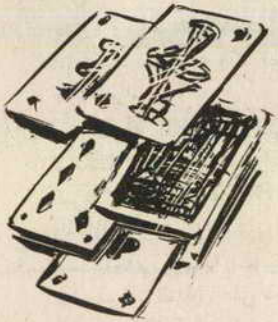

١٨— ما اللغة التى يتكلمها الأفغانيون ؟

١٩— كل دول العالم تنكس أعلامها عند الحداد، فيما عدا دولة واحدة . ما هى ؟ ولماذا ؟

٢٠— من ابتكر أوراق اللعب (الكوتشينة)؟

* * *

والآن ، وبعد أن أجبت عن الأسئلة ، وراجعت الأجوبة فى صفحة (١٩١) ، دعنا نعد إلى السؤال الأصلى ..

هل انت مثقف ؟!

* * *

أرزاق

رواية اجتماعية طويلة

من قلب الليل يأتى النهار..
ومن قلب الظلم تأتى الرحمة..
ومن المحال أن نأمل دوام الحال..

أرزاق

(٢)

ملخص ما سبق

عندما وصل (البنهاوى) إلى تلك القرية ، من قرى محافظة الغربية ، كان فقيرا معدما ، لا يملك شروى نقير ، إلا انه نجح بكفاحه وكده فى تكوين ثروة طائلة تقدر بالف فدان ، وانجبت له زوجته خمس إناث وثلاث ذكور ، كان اقربهم إلى قلبه هو ابنه الأكبر (حسين) ، الذى التحق بالكلية الحربية ، واسعد قلب الحاج (البنهاوى) ، ثم لم يلبث ان راح يطمح إلى ما هو اكثر ، وراح يبذل اقصى جهده لإقناع والده بالحصول على لقب (باشا) ، مقابل مائة الف جنيه ، وراح الابن الأصغر (مفيد) يقاوم الفكرة ، التى اثارت بدورها حفيظة عمدة القرية والمأمور ، فدبرا مكيدة لـ (البنهاوى) ، لمنعه من الحصول على اللقب ، بان دسوا عليه منشورات مزورة للضباط الأحرار ، جعلت البوليس السياسى يلقى القبض على الحاج (البنهاوى) و (حسين) .

٥ ــ الشَّماتة ..

اوقف العمدة والمأمور جواديهما ، أمام سراى (البنهاوى) ، وغمغم المأمور ، وهو يهبط عن صهوة جواده :

ــ اخف ابتسامتك يا عمدة ، فالحزن الذى تحاول رسمه على وجهك لم ينجح فى سترها .

اجابه العمدة فى خفوت :

ــ قلبى يعجز عن حجبها يا باشا .

قال المأمور فى صرامة ، وهو يتجه نحو باب السراى :

ــ حاول .

استقبلهما (عبد الحميد) ، العامل فى ارض (البنهاوى) ، وعيناه تسبحان فى بحر من الدموع ، واسرع يفسح لهما الطريق إلى حجرة الضيوف ، حيث جلس (مفيد) واجما ، دامع العينين ، وإلى جواره شقيقه (حافظ) ، وقد انخرط فى بكاء حار ، ومعهما عدد من رجال القرية ، يواسونهما فى مصابهما ، ونهض (مفيد) يستقبل المأمور والعمدة ، فقال الاول ، وهو يصافحه فى قوة ، متظاهرا بالجزع :

ــ ماذا حدث بالضبط ؟.. النبأ الذى بلغنى لم يحو الكثير من التفاصيل .

اجابه (مفيد) فى مرارة :

ــ لقد القى البوليس السياسى القبض على ابى و (حسين) .

هتف العمدة ، وهو يبذل اقصى جهده لرسم كمية هائلة من الدهشة على وجهه :

– البوليس السياسى ؟!.. لماذا ؟

كان صوت بكاء النسوة يصل إلى حجرة الضيوف عاليا ، مما اضطر (مفيد) إلى رفع صوته بدوره ، وهو يجيب :

– يتهمونهما بتأييد حركة الضباط الأحرار ، ولقد عثروا هنا على بعض منشورات هؤلاء الأحرار .

هتف المأمور :

– عثروا على منشورات ؟!.. إذن فالتهمة صحيحة .

عقد (مفيد) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

– مستحيل !.. لقد كان ابى يسعى للحصول على رتبة الباشاوية ، فكيف يعادى نظاما ، وهو يسعى ليصبح احد اركانه .

هز العمدة كتفيه ، وهو يقول :

– من يدرى ؟

كان قناع الحزن الذى يرسمه على وجهه قد سقط ، فبدت شماتته واضحة فى صوته وملامحه ، مما دفع (مفيد) إلى ان يقول فى صرامة :

– هناك شىء يحيرنى يا عمدة .. لقد عثروا على المنشورات اسفل ذلك المقعد ، الذى كنت انت تجلس عليه .

انتفض العمدة ، وهو يهتف :

– ماذا تعنى ؟

قال (مفيد) فى برود :

– ما الذى تتصور اننى اعنيه ؟

ارتسم غضب هائل على وجه العمدة ، وهتف فى ثورة :

– هل تتهمنى بتلفيق التهمة لابيك وشقيقك ؟

قال (مفيد) فى حدة :

– من يدرى ؟

احتقن وجه العمدة ، وراح يرغى ويزبد ، ويسب (مفيد) فى ثورة غضب ، فصاح به المأمور فى صرامة :

– كفى يا عمدة .

هتف العمدة :

– الم تسمع ما قاله يا باشا ؟

قال (مفيد) ساخرا :

– باشا ؟!.. ومتى حصل مأمورنا العظيم على رتبة الباشاوية ؟

احتقن وجه المأمور بدوره ، وهو يقول :

– ماذا تقصد يا ولد ؟

صاح به (مفيد) فى غضب :

– لا تخاطبنى بكلمة (ولد) هذه .

بات من الواضح ان الموقف قد بلغ ذروة التوتر ، مما دفع الحاج (سعفان) احد كبار القرية إلى التدخل ، هاتفا :

ـ كفى يا (مفيد) .. لا تغضب يا عمدة .. اهدا يا سيادة البك المأمور .. لا احد يقصد ما قاله الليلة .. إنها الأعصاب الثائرة فحسب .

اعتدل المأمور فى حدة ، وهو يقول :

ـ إننى اكره التواجد مع من لا يقيمون وزنا لاعتبارات السن والمقام ؛ ولذلك فسأغادر المكان ، ولن اعود إليه حتى يعود صاحبه سالما بإذن الله .

ثم التفت إلى العمدة هاتفا :

ـ هيا يا عمدة .

هب العمدة ، قائلا فى حنق :

ـ هيا يا باشا .

قال (مفيد) مستفزا :

ـ باشا مرة اخرى ؟

احتقن وجه المأمور غضبا ، وهتف مرة اخرى :

ـ هيا يا عمدة .

ولم يكد يصل مع العمدة إلى باب السراى ، حتى التفت إلى (مفيد) ، وقال فى غضب صارم :

ـ ستدفع ثمن هذا .

اجابته نظرات (مفيد) الصارمة ، فاندفع يغادر المكان محنقا ، وسمع الجميع وقع حوافر جواده وجواد العمدة يبتعدان ، فغمغم الحاج (سعفان) :

ـ كان ينبغى ان تتحكم فى اعصابك يا ولدى .

قال (مفيد) فى صرامة :

ـ كانا يستحقان هذا ، فهما شامتان فيما اصاب ابى وشقيقى .

غمغم الحاج (سعفان) :

ـ خيالك هو الذى صور لك هذا .

بدت له عبارته خاوية ، خالية من الحماس ، حتى انها عجزت عن إقناعه هو نفسه ، فاضاف فى خفوت ، وهو يتنهد فى اسف :

ـ لقد اصبح الزمن رديئا .

التفت (مفيد) إلى شقيقه (حافظ) ، الذى ما زال يبكى فى حرارة ، وهتف به محنقا :

ـ كفى يا (حافظ) .. إنك تولول كالنساء .

انحدرت كلمات (حافظ) مع دموعه ، وهو يقول :

ـ لقد اخذوا ابى يا (مفيد) .. ابى و (حسين) .

اجابه فى صرامة :

ـ إنها ليست نهاية العالم .

ربت الحاج (سعفان) على كتف (مفيد) ، وكانما يعبر له عن إعجابه بصلابته ، التى تفوق سنوات عمره القليلة ، وقال :

ـ اظن انه من الضرورى ان تذهب ـ انت وانا ـ غدا إلى المديرية ، لنعرف ماذا حدث لوالدك وشقيقك .

غمغم (مفيد) :

– بل إلى (القاهرة) ، ما دام الأمر يتعلق بالبوليس السياسى ، فلست اظن المديرية كلها تعلم اين ابى و (حسين) الآن .

وتنهد فى عمق ، قبل ان يضيف :

– معذرة يا عماه .. ساذهب لحظات للاطمئنان على شقيقاتى .

هتف الحاج (سعفان) :

– بالطبع .. اذهب يا ولدى .. اذهب .

التفت (مفيد) إلى (حافظ) ، وقال فى صرامة :

– قلت لك كفى .

ولكن (حافظ) ظل يبكى بنفس الحرارة ، مما اثار حنق (مفيد) ، وهو يغادر حجرة الضيوف إلى جناح شقيقاته ، فغمغم :

– يا لهـــا من عائلة !!.. شـقيق متغطـرس ، وآخر كالنساء .

لم يكد يدلف إلى جنـاح شـقيقاته ، حتى رآهن وقد انخرطن جميعا فى بكاء حار ، وعلى الأخص (شريفة) ، التى بدت أقرب إلى الانهيار ، فجلس على طرف فراشها ، وربت على كتفها فى حنان ، مغمغما :

– كفى يا (شريفة) .. سيعود الاثنان سالمين بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

رفعت عينيها الدامعتين إليه ، ثم عادت تنخرط فى بكاء

شـديد ، وهى تسند راسـها إلى يده ، فى حين هتفت (نعيمة) :

– ولكن زوجى يؤكد انه ما من احد يعود سالمـا ، ما دام الأمر يتعلق بالبوليس السياسى .

التفت إليها ، قائلا فى غيظ :

– وأين هو زوجك ؟.. لمـاذا لم يأت ليزيدنا من خبرته وشجاعته ؟

توقفت دموعها بغتة ، وقالت فى غضب :

– هل تسخر فى مثل هذه الظروف يا (مفيد) ؟

قال فى حدة :

– بل أتساءل فحسب ، لمـاذا يكتفى هذا الهمام دوما بمتابعة الأمور من الخارج ؟ لمـاذا خشى المجىء إلى هنا ؟.. أتحبين ان اخبرك انا لمـاذا ؟.. لأن فارسك الهمام خاف أن يتهموه بانه ايضا يؤيد حركة الضباط الاحرار ، لو انه اتى إلى هنا ، فى مثل هذه الظروف .

هتفت (نعيمة) فى غضب :

– (مفيد) .. احترم شقيقتك الكبرى .

صاح ثائرا :

– لمـاذا ؟.. لمجرد انها اكبرنا سنا ؟

هتفت بهما (توحيدة) :

– كفى .. كفى شجارا .. الأجدى ان نبحث عن وسيلة لاستعادة ابينا و (حسين) .

زفر (مفيد) فى قوة ، وهو يقول :

– صدقت .

ثم رفع عينيه إليها ، وغمغم مشفقا :

– لقد تأجل زواجك بسبب هذا .

تفجرت الدموع فى عينيها ، وهى تهتف :

– فلأبق عانسا عمرى كله ، ولا يقضى ابى ليلة واحدة فى سجنه .

تنهد فى يأس ، وهو يقول :

– سيعود الاثنان يا (توحيدة) .. سيعودان بإذن الله .

ولكنه فى اعماقه كان يشعر بالشك فى عبارته ..

بالشك إلى حد اليأس ..

* * *

راح المأمور ينهال بالسباب على رأس (مفيد) ، طيلة الطريق من سراى (البنهاوى) إلى نقطة الشرطة ، حتى هتف به العمدة :

– كفى يا باشا .. إنه مجرد ولد صغير .

صاح المأمور فى غضب :

– ولكنه يحتاج إلى التهذيب .

رفع العمدة احد حاجبيه فى خبث ، وهو يقول :

– ولم لا ؟

ادار المأمور عينيه إليه بنصف التفاتة ، ثم عاد يعتدل ، وهو يقول :

– ماذا يدور فى رأسك يا عمدة ؟

قال العمدة فى لهجة تقطر حروفها كلها دهاء :

– عملية تأديب بسيطة يا باشا .

ابتسم المأمور فى شغف ، وهو يقول :

– وهل ستحتاج إلى مطبعة ابن شقيقك ايضا ؟

قال العمدة فى زهو :

– لا يا باشا .. إننى رجل احب التجديد .

سأله المأمور فى اهتمام :

– ماذا تقترح هذه المرة إذن ؟

خفض العمدة صوته ، وهو يقول :

– سرقة مواش .

رفع المـامور حاجبيه ، وهو يكرر فى دهشـة :

ـ سرقة مواش ؟!..

ثم التفت إليه مستطردا :

ـ ومن سيصدق ان ابن (البنهاوى) يسرق المواشى ؟!

لوح العمدة بكفه ، قائلا :

ـ كل الأبناء ينحرفون .

ساله فى حدة :

ـ ولكن لمـاذا ينحرف ؟.. لابد من سبب منطقى .

اتسعت ابتسامة العمدة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا باشا .. اترك لى هذا ، وسيكون لديك سبب منطقى .

تطلع إليه المـامور لحظات فى صمت ، ثم غمغم :

ـ اتعلم اننى اصبحت اخشاك يا عمدة .

هتف العمدة فى فخر ، وقد بدت له العبارة تقريظـا مناسبا :

ـ حاشى لله يا باشا .. محال ان تمتد انامل إلى التراب الذى تطؤه بقدمك .

غمغم المـامور فى حذر :

ـ ليست انامل ما يخيفنى يا عمدة ، فلقد برزت انيابك فى عملية (البنهاوى) ، ويبدو ان نجاحك فيهـا قد حفز عقلك ، واثار شهيتك لمزيد من الدماء ، فصرت تتفنن فى إيجاد وسائل التدمير وابتكارها .

غمغم العمدة فى خبث :

ـ تلميذك يا باشا .

ابتسم المـامور ، وفتل شاربه الضخم ، وهو يقول :

ـ يبدو انك تكره (البنهاوى) كثيرا يا عمدة .

قال العمدة فى حقد واضح :

ـ لقد دخل قريتنا فقيرا معدما ، ولن يغادرها إلا وهو كذلك يا باشا .

والتمعت عيناه ببريق الشر ، وهو يستطرد :

ـ هذا وعد منى ..

* * *

٦ ــ السجن ..

ارتجف (حسين) فى شدة، وراح يقاوم رغبته فى البكاء ، وهو يجلس فى ركن تلك الزنزانة الرطبة الضيقة ، التى القاه فيها رجال البوليس السياسى مع والده ، وانهارت كل الآمال العريضة ، التى رسمها لحياته ، فى اعماقه ، وراح يندب ذلك الحظ السيىء ، الذى القاه فى هذا المكان ، بعد ان صار قاب قوسين او ادنى من القوة والسطوة ..

وانطلق عقله يبحث عن تفسير لما حدث ..

إنه بالتأكيد لا يؤيد حركة الضباط الاحرار هذه ..

ليس لانه يرفضها ، او لانه يؤيد النظام الحالى ، بل لانه ــ وبكل بساطة ــ لا يدرى عنها اكثر مما سمعه من المأمور ، ليلة زفاف (نعيمة) ..

إنه حتى يجهل تماما كيف وصلت تلك المنشورات إلى السراى !!..

إن والده لا يؤيد هؤلاء الضباط حتما ..

ولا (حافظ) بالتأكيد ..

ايحتمل إذن ان يكون (مفيد) هو صاحب المنشورات ؟!

بدا له ذلك الخاطر فجاة منطقيا ، متناسبا مع شخصية (مفيد) الثائرة ، وعناده التقليدى ، فانتابه شعور بالحنق

الشديد ، مع تصوره أن (مفيد) صاحب تلك المنشورات ، وانه تركه ووالده يدفعان ثمن وجوده ..

والده ..

ترى كيف هو الآن ؟..

رفع عينيه إلى حيث انكمش والده ، فى الركن المقابل للزنزانة ، وهاله ان يرى كل هذا الشحوب والامتقاع على وجه الرجل ، فنهض من مكانه ، واتجه إليه ، مغمغما :

ــ سينتهى كل شىء على ما يرام يا ابى ، بإذن الله ، إننا ابرياء ، ولن يلبث رجال البوليس السياسى ان يتبينوا هذا .

رفع إليه الحاج (البنهاوى) عينين زائغتين ، وهو يغمغم فى انهيار :

ــ بعد كم من السنين ؟

ثم طفرت من عينيه دمعة يأس ، وهو يستطرد :

ــ كل شىء ضاع : الارض ، والاموال ، واللقب .. حتى العمر والحرية .. كل شىء ضاع .

هتف (حسين) فى مرارة :

ــ لا تقل هذا يا ابى .. لا تقل هذا .. سنغادر هذا المكان ، وسنعود إلى الارض والمال ، و ....

قاطعه صوت ساخر يقول :

ــ كم يروق لى ان ارى شخصا متفائلا هنا .

اقترن الصوت بفتح باب الزنزانة ، وظهور جندى على عتبته ، استطرد بنفس اللهجة الساخرة :

ـ هيا لتختبر دقة تفاؤلك أيها الهمام ، فسيادة الصاغ (إبراهيم مكى) يطلب رؤيتك .

نهض (حسين) فى توتر ، وبدا جسده يرتجف بالفعل ، وهو يغمغم :

ـ وماذا عن ابى ؟

القى الجندى نظرة سريعة على الأب المسكين ، الذى انكمش فى ركن الزنزانة ، واكتفى ببكاء صامت يائس ، ثم قال فى سخرية :

ـ لا تقلق .. سياتى دوره عما قريب .

ودفع (حسين) امامه فى عنف ، مستطردا :

ـ هيا .. سيادة الصاغ لا يحب الانتظار طويلا .

راح يدفعه فى قسوة وامتهان ، عبر ممر طويل ، حتى وصلا إلى مكتب ضخم ، طرق الجندى بابه ، ثم دخل إليه وامامه (حسين) ، وادى التحية العسكرية للصاغ (إبراهيم مكى) الذى يجلس خلف مكتبه فى عظمة ، وقال :

ـ السجين (حسين البنهاوى) يا سيدى .

قال الصاغ (إبراهيم) فى برود :

ـ اتركه واذهب .

ادى الجندى التحية العسكرية مرة اخرى ، فى مزيد من الصخب ، وهو يدق كعبيه بعضهما ببعض فى قوة ، قبل ان يغادر الحجرة فى سرعة ، ويغلق بابها خلفه فى إحكام ، فى نفس اللحظة التى غمغم فيها (حسين) :

ـ السجين ؟!

ابتسم الصاغ (إبراهيم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ الم يرق لك اللقب ؟

اجابه (حسين) فى خفوت :

ـ كنت افضل لقب (المتهم) بالتاكيد ، فهو يمنح شعورا بالأمل فى البراءة ، اما لقب (السجين) ، فيوحى بأن الحكم قد صدر بالفعل .

تأمله (إبراهيم) فى صمت لحظات ، ثم قال :

ـ اجلس يا (حسين) .

تردد (حسين) فى شك ، فكرر (إبراهيم) فى حزم :

ـ اجلس .

جلس (حسين) على المقعد المواجه للمكتب ، وراح يتطلع إلى (إبراهيم) فى حذر ، فابتسم هذا الاخير ، وكأنما يحاول ان يبث فى نفس (حسين) بعض الاطمئنان ، قبل ان يقول :

ـ انت طالب بالكلية الحربية .. اليس كذلك ؟

اومأ (حسين) برأسه إيجابا ، وازدرد لعابه فى صوت مسموع ، قبل ان يجيب :

ـ بلى .

مال (إبراهيم) نحوه ، وسأله بغتة :

ـ ما معلوماتك عن الضباط الأحرار ؟

هتف (حسين) ، وكأنما كان يتوقع هذا السؤال وينتظره :

ـ اقسم بالله إننى لا اعلم عنهم شيئا ، اكثر مما يردده البعض ، واقسم بكل عزيز لدى ، إننى وابى من مؤيدى مولانا الملك المعظم ، وان تلك المنشورات ، التى وجدتموها فى السراى مدسوسة علينا ، و ....

قاطعه (إبراهيم) :

ـ إنها منشورات زائفة .

حدق (حسين) فى وجهه فى ذهول ، قبل ان يهتف بكل ما دفعته العبارة فى نفسه من امل :

ـ زائفة ؟!

اومأ (إبراهيم) برأسه إيجابا ، وقال فى هدوء :

ـ كل شىء فيها زائف على نحو واضح للغاية ، فلم يلتزم مزيفها بنوع الورق ولا الأسلوب ، ولا حتى شكل الحروف.. إنها مزيفة من أولها إلى آخرها .

هتف (حسين) فى فرحة :

ـ إذن فانتم تعلمون اننى وابى بريئان .. حمدا لله .

ابتسم (إبراهيم مكى) فى سخرية ، دون ان ينبس ببنت شفة ، واكتفى بمراقبة فرحة (حسين) ، الذى استطرد فى لهفة :

ـ ستطلقون سراحنا إذن .. اليس كذلك ؟

اجابه (إبراهيم) فى هدوء :

ـ الأمر ليس بمثل هذه السهولة .

تهاوى الأمل فى اعماق (حسين) بغتة ، وشحب وجهه . وهو يسأل :

ـ لماذا ؟.. الم تتأكدوا من اننا بريئان ؟

مط (إبراهيم) شفتيه ، وقال :

ـ فى مهنتنا هذه لا تسير الامور بتلك البساطة يا (حسين) ، فمن السهل على اى منا ان يصدر قرارا باعتقال شخص ما ، ولكن من العسير ان نصدر قرارا بالإفراج عنه ، حتى ولو ثبتت براءته .

ازداد شحوب (حسين) ، وهو يقول :

ـ لماذا ؟.. اليس من المنطقى ان ...

قاطعه (إبراهيم) فى صرامة :

ـ الفارق الوحيد بالنسبة لك ولوالدك هو اننا لن نستجوبكما ، وصدقنى .. سيوفر لكما هذا الكثير .. من كرامتكما على الأقل .

ثم ابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يستطرد :

ـ الواقع انكما محظوظان يا (حسين) .

ردد (حسين) فى ذهول :

ـ محظوظان !!

وتجمعت فى عينيه دمعة كبيرة ، عجز عن كبتها هذه المرة ، وهو يقول :

ـ ماذا سيكون مصيرى ومصير ابى إذن ؟!

هز (إبراهيم) كتفيه ، قائلا :

ـ ستبقيان معنا بعض الوقت .

سأله فى انهيار :

ـ إلى متى ؟

هز كتفيه مرة اخرى ، وابتسم ابتسامة اقرب إلى الجذل ، وهو يغمغم :

ـ من يدرى ؟

وخيل لـ (حسين) انه يهوى فى حفرة ..

حفرة عميقة ..

رهيبة ..

فى بئر لا قرار لها ..

ولا امل فى النجاة منها ..

* * *

لم يكن (مفيد) ابدا ممن ينبهرون بـ (القاهرة) ، مثلما يفعل سكان الريف عادة ، ومثلما بدا الحاج (سعفان) ،

الذى يرافقه فى رحلته ، منذ توقف بهما القطار القادم من (طنطا) ، فى محطة (مصر) ..

فـ (مفيـد) ما زال كما هو ، يعشق الريف بأرضـه وخضرته ..

وبـ (مديحة) ..

ثم إن ضخامة (القاهرة) لم تكن الشىء الذى يشغل بال (مفيد) ..

بل كان كل ما يفكر فيه هو البحث عن والده وشقيقه ..

ولهذا لم يضع لحظة واحدة ، فاستقل واحدة من سيارات الأجرة ، وهتف بسائقها :

ـ البوليس السياسى .

بسمل السائق وحوقل ، واستعاذ بالله (سبحانه وتعالى) من شياطين الإنس والجن ، وانطلق فى طريقه لاعنا حظـه السيىء ، الذى سيذهب به إلى ذلك المكان ، الذى يخشى كل مصرى مجرد المرور من أمامه ، فى حين راح (مفيد) يسأل الحاج (سعفان) فى المقعد الخلفى للسيارة :

ـ أتظننا سنجدهما يا حاج ؟

تردد الحاج (سعفان) لحظة ، ثم أجاب فى خفوت :

ـ فليفعل الله ما فيه الخير يا ولدى .

قال (مفيد) فى أمل :

ـ سيرشدوننا إلى مكانهما على الأقل :

سأله السائق فى حذر :

ـ هل اعتقل البوليس السياسى أحد اقاربك ؟

أجابه (مفيد) :

ـ نعم .. أبى وشقيقى .

زفر السائق فى أسف ، وهو يقول :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .. شد حيلك يا ولدى .

شحب وجه (مفيد) ، وهو يغمغم :

ـ هل تعلم شيئا عن مثل هذه الأمور ؟

هتف السائق ، وكأنما ينفى عن نفسه تهمة بغيضة :

ـ لا .. لست أعلم شيئا .

سأله (مفيد) مرة أخرى :

ـ أتظننا سنجدهما ؟

كرر السائق فى رعب :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .. لست أعلم شيئا .

وأطبق شفتيه بعدها ، فلم ينبس بحرف واحد ، حتى وصلت السيارة إلى المبنى المنشود ، فراح يرمقه فى خوف ،

حتى هبط (مفيد) والحاج (سعفان) من السيارة ، ونقده (مفيد) اجره ، فانطلق بالسيارة وكأنما يفر من شياطين الدنيا كلها ..

واتجه (مفيد) فى ثبات إلى حارس البوابة ، وقال :

ـ اريد مقابلة الصاغ (إبراهيم مكى) .

تطلع الحارس فى استهتار وسخرية إلى ذلك الفتى اليافع ، الذى يقف امامه فى ثبات ، وساله :

ـ تريد مقابلته ؟!.. اانت قريب له ؟

اجابه (مفيد) بنفس الثبات :

ـ بل اريد ان اساله عن ابى وشقيقى .

ساله الحارس :

ـ وما شانه بهما ؟

اجابه فى حزم :

ـ لقد اعتقلهما امس ، و ...

هتف الحارس مقاطعا :

ـ اعتقلهما ؟! وتريد ان تساله عنهما ؟!

قال (مفيد) :

ـ نعم .. وماذا فى هذا ؟

دفعه الحارس بكعب بندقيته ، وهو يقول فى غلظة :

ـ اذهب يا فتى .. اذهب .

هتف به (مفيد) :

ـ كيف اذهب ؟.. لقد اتيت اسأل عن ابى وشقيقى ، و ....

صاح به الحارس فى خشونة ، وهو يدفعه مرة اخرى بعيدا :

ـ قلت لك اذهب .

قال (مفيد) فى عناء :

ـ وماذا لو لم افعل ؟

ادهشه ان صوب الحارس فوهة بندقيته إلى صدره ؛ وهو يقول فى قسوة :

ـ حاول ، وستخترق رصاصتى قلبك ، فالأوامر لدى تحتم اتخاذ هذا الأسلوب ، مع كل من يحاول الدخول إلى هنا عنوة .

امسك الحاج (سعفان) كتفى (مفيد) ، وجذبه إلى الخلف ، وهو يقول فى مرارة :

– تعال يا ولدى .. من الواضح أن هذا الطريق مسدود فى وجوهنا ، وأننا قد فقدنا اثر والدك وشقيقك .

غمغم (مفيد) ، وهو يبتعد عن المبنى فى الم :

– نعم .. لقد فقدناهما .. فقدناهما .

وسالت من عينيه الدموع ..

* * *

٧ – الاتهام ..

كان قرص القمر يتوسط سماء صافية ، انتشرت فيها نجوم لامعة كالدرر ، عندما تسللت (مديحة) من منزلها ، وراحت تحث الخطا وسط الحقول الخضراء ، فى طريقها إلى حيث شجرة الصفصاف الكبيرة ، على حافة ارض (البنهاوى) ..

لم تكن اول مرة تتسلل فيها من منزلها فى مثل هذا الوقت ..

ولا اول مرة تذهب فيها إلى حيث شجرة الصفصاف ..

وفى أعماقها كانت تشعر بسعادة كبيرة ..

سعادة عاشقة صغيرة ، لم تتجاوز منتصف سن المراهقة بعد ..

وعند جذع شجرة الصفصاف ، كان (مفيد) ينتظرها ..

ولقد استقبلها فى لهفة وحب حقيقيين ..

وعندما تشابكت اصابعهما ، كان قلباهما يخفقان فى حنان وهيام ، وكانت حمرة الخجل تكسو وجه (مديحة) كله ، وهى تغمغم :

ـ كيف حالك ؟

همس (مفيد) :

ـ كيف حالك انت ؟

لم يجب أيهما السؤال ، فقد كانا يعلمان انه مدخل لتهدئة لواذع قلبيهما الصغيرين ، ومفتاح لبدء الحديث بينهما ..

ولقد عاونها (مفيد) على الجلوس عند جذع الشجرة ، وسألها فى حنان :

ـ هل انهيت امتحاناتك ؟

اومأت براسها إيجابا ، وهى تقول :

ـ نعم .. لقد انتهيت منها اليوم .

ثم سألته فى لهفة :

ـ وماذا عنك ؟

ابتسم مجيبا :

ـ بقى امامى اختبار واحد .

غلفهما الصمت لحظات بغلافه الرقيق ، الذى يبدو فى قلوب العاشقين ابلغ من قصائد شعر ودواوين غزل ، وراح هو يتأمل وجهها الصبوح ، وقد غلفه ضوء القمر بغلالة فضية

صافية ، زادت من بهائه وحسنه ، فاحمرت وجنتاها خجلا ، وزادها هذا فتنة ، فخفضت عينيها فى حياء ، مغمغمة :

ـ اما من اخبار عن الحاج و (حسين) بك ؟

لم تكد تنطق بسؤالها ، حتى شملتها موجة قوية من الندم ، فقد ارتسم الحزن على ملامحه كلها ، وغمغم فى مرارة :

ـ لا .. لقد حاولنا ان نعثر على اثر لهما ، ولكننا عجزنا .

ربتت على كتفه متعاطفة ، وسألته :

ـ الا يعلم اى مخلوق اين ذهبا ؟

هز راسه نفيا ، وقال :

ـ الجميع يؤكدون انه ما من وسيلة لمعرفة مكانهما ، سوى البوليس السياسى نفسه ، ولقد عجزت عن الوصول إلى الصاغ (إبراهيم مكى) ، الذى اعتقلهما من السراى ، ويقينى انه الوحيد الذى يمكنه إرشادى إليهما .

تمتمت مشفقة :

ـ وما وقع هذا على السراى ؟

زفر فى مرارة ، واجاب :

ـ كل الأمور مقلوبة ، ف (حافظ) يكاد يكون منهارا ، إذ انك تعلمين شدة ارتباطه بأبى ، و (نعيمة) تركت منزلها تقريبا لتقيم معنا ، وهى تشارك اخواتى الاخريات فى بكائهن المتواصل ليل نهار ، اما زوج (نعيمة) فما زال يتحاشى

زيارتنا ، على عكس خطيب (توحيدة) ، الذى يهتم بأحوالنا كثيرا .

سألته فى حنان :

ـ وماذا عنك انت ؟

رمقها بنظرة امتنان ، وكأنما يشكر لهـا سؤالها عنه ، وغمغم :

ـ احاول احتمال الموقف .

غمغمت وهى تربت على كتفه مرة اخرى فى حنان :

ـ انت دائما قادر على الاحتمال .

تطلع إلى عينيهـا فى حب ، وتسللت اصـابعه تحتضن اصابعها الرقيقة ، و ...

وفجأة ، دوى طلق نارى بعيد ، ارتجف له جسداهما ، وهتفت هى فى رعب :

ـ ما هذا ؟

عقد حاجبيه ، وهو يتطلع إلى حيث دوى الطلق النارى ، وقال :

ـ لست ادرى .

تعاقبت الاعيرة النارية فى الهواء ، على نحو يوحى بحدوث امر جلل ، مما جعل (مديحة) تهتف مذعورة :

ـ رباه !.. ماذا يحدث ؟

اجابها فى صلابة ، تفوق سنوات عمره بكثير :

ـ لا تقلقى .. عودى إلى منزلك على الفور ، ولا تغادريه .

اسرعت تعدو عائدة إلى منزلها القريب ، وسط ارض (البنهاوى) ، وتابعها هو ببصره فى اهتمام ، حتى اطمأن إلى وصولها إلى المنزل ، على ضوء القمر المكتمل الاستدارة ، ثم اسرع نحو السراى ، ولم يكد يبلغهـا ، حتى استقبلته (شريفة) ، وهى تسأله فى خوف :

ـ ماذا هناك ؟

هز راسه ، مغمغما :

ـ لست ادرى .. ربما هى محاولة سرقة ، او شىء من هذا القبيل .

اسرعت إليهما (ناهد) من الداخل ، تقول فى قلق :

ـ ادخلا إلى المنزل ، فقد يصيبكما عيار طائش .

اسرع الثـلاثة إلى داخل السراى ، ورانَ الصـمت فى الخارج ، بعد ان توقفت الأعيرة النارية ، فقالت (توحيدة) فى خفوت :

ـ ترى من يسرق من ؟

اجابها (مفيد) :

ـ لن نلبث ان نعلم كل التفاصيل ، عندما تشرق شمس الغد ، فالأخبار تنتشر فى قريتنا فى سرعة .

هتفت (ناهد) فى ضيق :

ـ هل سننتظر حتى الغد ؟

رمقها (مفيد) بنظرة استنكار ، ثم التفت إلى (توحيدة) يسالها :

ـ كيف حال (حافظ) ؟

اجابته وهى تتنهد فى عمق :

ـ حاله تقلقنى .. فهو لا يتناول سوى النذر اليسير من الطعام ، ويبكى طيلة الوقت تقريبا .

قال فى ضيق :

ـ كم يضايقنى ضعفه هذا !.. ينبغى ان يتماسك قليلا كرجل .

قالت محاولة إيجاد مبرر :

ـ انت تعلم شدة تعلقى بابى .

قال معترضا :

ـ هذا ليس مبررا .

تناهى إلى مسامعهما ـ فى تلك اللحظة ـ وقع حوافر عدد من الخيول ، يقترب من السراى ، فقالت (شريفة) فى قلق :

ـ يا رب خيرا .

وهتفت (ناهد) :

ـ ترى هل يتعلق قدومهم بطلقات النيران ؟

سمع الجميع الخيول تتوقف امام باب السراى مباشرة ، فهتف (مفيد) :

ـ (عبد الحميد) .

أسرع إليه (عبد الحميد) ، بزيه الرث ، ونحوله الشديد ، فاستطرد :

ـ فلتر من بالباب .

غاب (عبد الحميد) لحظات ، ثم عاد يقول :

ـ البك المأمور يطلب رؤيتك يا سيدى (مفيد) .

قال (مفيد) فى قلق :

ـ رؤيتى انا ؟

واتجه إلى حجرة الضيوف معقود الحاجبين ، ولم يكد يلجها ، حتى راى العمدة والمأمور وبعض جنود الشرطة والخفراء ، وقد بدت الصرامة فى وجوههم جميعا ، فقال :

ـ مرحبا بكم .. خيرا .

اجابه المأمور فى صوت صارم :

ـ جرت منذ لحظات محاولة لسرقة مواشى العمدة .

ساله (مفيد) فى هدوء :

ـ أكان هذا سبب تلك الأعيرة النارية ، التى انطلقت منذ قليل ؟

اجابه العمدة بابتسامة غامضة :

ـ نعم .. هو السبب طبعا .

رمقه (مفيد) بنظرة باردة ، وقال :

ـ وما شانى انا بهذا يا سيادة المأمور ؟

قال المأمور بنفس الصرامة :

ـ لقد طارد خفراء العمدة السارقين ، ونجحوا فى إلقاء القبض على احدهم .

عاد (مفيد) يساله بنفس البرود :

ـ وما شانى بهذا ايضا ؟

رماه المأمور بنظرة طويلة اشد برودا ، قبل ان يلتفت إلى احد جنوده ، قائلا فى صرامة :

ـ احضر اللص .

ظل (مفيد) ثابتا هادئا ، محتفظا بكل قلقه وتساؤلاته فى اعماقه ، حتى عاد الجندى باللص ، ودفعه داخل الحجرة ، فتطلع إليه (مفيد) فى حيرة ، وايقن من انه لم ير وجهه قط من قبل ؛ ولهذا كانت دهشته عارمة ، عندما رفع اللص عينيه إليه ، وهتف :

ـ (مفيد) بك .. انقذنى .

هتف (مفيد) فى دهشة :

ـ انقذك ؟!.. هل اعرفك يا رجل ؟

صاح اللص :

ـ تعرفنى ؟!.. هل تريد التخلى عنى يا (مفيد) بك ؟.. الست انت من امرنا بسرقة المواشى ؟

تراجع (مفيد) كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ انـا ؟

ارتسمت على شفتى العمدة ابتسامة متشفية ، وهو يقول :

ـ لقد اعترف الرجل يا (مفيد) .

رفع (مفيد) عينيه إلى وجهى العمدة والمأمور ، وفهم اللعبة كلها من ابتسامتهما على الفور ، فعقد حاجبيه ، هاتفا :

ـ يا لكما من لعينين !! ولكن خطتكما لن تفلح ابدا !

هتف اللص :

ـ ولكن لماذا تنكر يا (مفيد) بك ؟.. لقد اعترفت انا لاريح ضميرى .. انت كنت معنا فى اثناء السرقة .

صاح به (مفيد) فى غضب :

ـ كذبت ايها اللعين !!

ساله المأمور فى صرامة :

ـ اين كنت إذن ، عندما انطلقت الأعيرة النارية ؟

لم ينبس (مفيد) ببنت شفة لحظات ..

لقد استعاد ذهنه الموقف فى سرعة ..

لقد كان مع (مديحة) عندما انطلقت الأعيرة النارية ..

كان معها عند جذع شجرة الصفصاف ..

ولكن من المستحيل ان يذكر ذلك للمأمور ..

لن يفضح الإنسانة التى احبها ابدا ..

وبكل صلابة ، قال :

ـ كنت اتنزه وحدى وسط الحقول .

هتف اللص :

ـ بل كنت معنا نسرق المواشى ، بناء على خطة وضعتها انت .

صاح به (مفيد) :

ـ خسئت ايها الحقير !! كيف تتهمنى باتهام وضيع كهذا ؟!.. لماذا الجا انا إلى سرقة مواشى العمدة ، ووالدى يمتلك اضعاف اضعافها ؟

اجابه المـامور بابتسـامة ساخرة شامتة :

ـ حتى لا يعلم والدك كم تنفق على لعب القمار .

هتف (مفيد) :

ـ القمار ؟!.. اى قمار ؟

اجابه العمدة فى دهاء :

ـ القمار .. الميسر يا فتى .. إن لدينا شهودا على انك تدمنه ، وتتسلل من منزلك يوميا ؛ لتمارسه مع شلة من ادنى فئات المجتمع ، ومن بينهم هذا اللص ، وانك تخشى ان يدرك والدك ما تفعله ، عندما تطالبه بنقود لتغطية خسائرك الباهظة ؛ لذا فلم يكن لديك سوى سرقة المواشى وبيعها ، لتغطية نفقاتك .

قلب (مفيد) شفتيه فى امتعاض ، وهو يقول :

ـ شهود وخطة ودوافع .. لقد تحالفتما مع الشيطان حقا هذه المرة .

ابتسم المـامور فى سخرية ، وهو يقول :

ـ كف عن تلك السـفسطة يا فتى .. لقد وقعت هـذه المرة ، وانا القى القبض عليك بتهمة السرقة ..

ومرة اخرى ، انطلقت صرخة (شريفة) ترج السراى ..

* * *

٨ ـ الانهيـار ..

« لمـاذا يا رب ؟.. لمـاذا ؟.. » .

هتف الحاج (البنهاوى) بهذه العبارة ، بكل ما يملأ نفسه من الم ويأس ومرارة وإحباط ، ثم لم تلبث الدموع ان تفجرت فى عينيه ، وغمرت وجهه ، الذى كسته لحية نمت مع قلة العناية والاهتمام ، فاقترب منه ابنه (حسين) ، وغمغم فى تعاطف مرير :

ـ رويدك يا ابى .. إننـا مظلومان .. الجميع هنـا يعلمون هذا .

هتف الحاج (البنهاوى) فى الم :

ـ لا فائدة يا ولدى .. لا فائدة .

وعادت الدموع تغرق وجهه ، وهو يستطرد :

ـ لقد خسرت كل شىء .. خسرت كل ما ربحته ، وكل ما حلمت به طيلة عمرى .. إننا هنا فى جحيم ارضى يا ولدى .. فى قبر يدفن فيه الأحياء .

قال (حسين) محاولا تهدئته :

ـ لا يا والدى .. إننا سنخرج من هنا قريبا .. قريبا جـدا .

هز الحاج (البنهاوى) راسه فى يأس ، وهو يقول :

ـ لا تحاول خداع نفسك بهذا يا ولدى .. انت تعلم مثلى ان من يدخل إلى هنا لا يخرج ابدا .. انت تعلم هذا .

تراجع (حسين) مغمغما فى ارتياع :

ـ لا يا ابى .. لا تقل هذا .. لا تقل هذا .

والتصق بجدار الزنزانة ، مستطردا :

ـ لا تحطم احلام عمرى كلها بهذه البساطة .

غمغم (البنهاوى) فى مرارة :

ـ احلام عمرك ؟!

ثم رفع عينيه إليه ، مستطردا فى انهيار :

ـ حتى الاحلام صارت سجينة هنا يا ولدى .. حتى الاحلام .

* * *

اطلق المـامور ضحكة ظافرة عالية ، وهو يدق بيده على فخذه ، هاتفا :

ـ رائع يا عمدة !! انت فعلا عبقرى .. عبقرى كبير .. على الرغم من انك تعجز عن كتابة اسمك فى وضوح .

لوح العمدة بكفه ، وهو يبتسم فى دهاء ، قائلا :

ـ وماذا فعل المتعلمون ؟

اطلق المـامور ضحكة مجلجلة اخرى ، قبل ان يقول :

ـ صدقت .. وماذا فعل المتعلمون ؟

ثم ابتسم فى جذل ، مستطردا :

ـ ولكن خطتك كانت عبقرية بحق ، فانت دفعت رجالك لمراقبة الفتى طيلة الاسبوع المـاضى ، وعلمت انه يتسلل من منزله كل ليلة ؛ ليلتقى بحبيبة قلبه عنـد جذع شـجرة الصفصاف ، واستغللت ذلك ، واثقا من ان شهامته ستمنعه من ذكر الحقيقة ، ومن تبرئة نفسه على حساب سـمعة الفتاة ، مما يسهل إدانته فى قضية السرقة .

قال العمدة مبتسما فى ظفر :

ـ لقد ساعدنا (مرزوق) كثيرا ايضا ، فعلى الرغم من انه لص كبير ، إلا انه اوفى بوعده تماما ، واتهم (مفيد) بانه المحرض على السرقة ، والمشارك فيها .

وانخفض صوته ، وهو يستطرد :

ـ ومن الضرورى ان نوفى بوعدنا له بدورنا .

لوح المـامور بكفه هاتفا فى مرح :

ـ بالطبع .. سنوفى بما وعدناه به .

ثم تنهد فى ارتياح ، وقال :

ـ المهم اننا ما زلنا نواصل تحطيم عائلة (البنهاوى) .

قال العمدة فى ثقة :

ـ لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك .. صدقنى ، فلقد اشعت فى القرية كلها ان (حسين) ووالده يؤيدان تنظيم الضباط الاحرار ، وان (حسين) بالذات احد كبار التنظيم ، ونشرت خبر إلقاء القبض على (مفيد) بتهمة السرقة .

واطلق ضحكة قصيرة ، قبل ان يستطرد :

– والبقية فى الطريق .

تألقت عينا المأمور ، وهو يقول :

– نعم .. البقية فى الطريق .

وازداد بريق عينيه ، وهو يستطرد :

– لقد انتهت عائلة (البنهاوى) .. انتهت تماما .

* * *

جلس (مفيد) فى زنزانته شاردا ، يفكر فيما آل إليه امر العائلة فى الآونة الأخيرة ، فلقد انهالت المصائب عليهم بغتة من كل صوب ، وراح الجميع يدسون لهم التهم والأباطيل ، كما لو ان سنوات المودة بينهم وبين اهل القرية قد انتهت بغتة بلا رجعة ..

ولكن لماذا ؟..

لماذا كرههم الجميع فجأة ، وعلى راسهم العمدة والمأمور ؟..

ما الذى تبدل فى حياتهم ؟..

الآن (حسين) قد التحق بالكلية الحربية ؟..

أم لأن والده كان قاب قوسين او ادنى من الحصول على رتبة الباشاوية ؟..

بدت له النقطة الأخيرة اكثر منطقية ؛ لأنها كانت ستصنع فجوة مباغتة بين والده والآخرين ..

فجوة تجعله يعلو العمدة والمأمور معا ، بعد ان كان يسعى دوما لخطب ودهما ..

وفى مرارة ، ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يغمغم :

– قر عينا إذن يا (حسين) ، ها هو ذا ما جلبه لنا سعيك وراء اللقب ..

انتفض جسده بغتة ، عندما تناهى إلى مسامعه صوت هامس حنون ، يهتف باسمه ، فهب واقفا ، وتعلق بقضبان نافذة الحجز ، وهو يهتف فى صوت خافت :

– (مديحة) .. اهو انت ؟

أتاه صوتها الحنون مفعما باللوعة ، وهى تقول :

– نعم يا (مفيد) .. هو انا .. كيف انت ؟.. ماذا فعلوا بك ؟

أجابها فى مرارة :

– بل قولى ماذا فعلوا بأسرتى يا (مديحة) .. إنهم يسعون لتدميرنا جميعا .

قالت فى صوت حمل لمحة من الدموع التى تغرق وجهها :

– ولكنك برىء يا (مفيد) .. لقد كنت معى عندما سمعنا الأعيرة النارية ، وكنا ....

قاطعها فى حزم صارم :

– إياك ان تذكرى هذا الأمر لمخلوق يا (مديحة) .. إياك .

هتفت فى الم :

– ولكن يا (مفيد) .

صاح فى صرامة لا تقبل الجدل :

– إياك يا (مديحة) .

سمع صوتها وهى تبكى ، وهو يعجز عن رؤيتها لارتفاع قضبان الحجز ، فقال مشفقا :

ـ عودى إلى منزلك يا (مديحة) .. عودى قبل ان ينتبه عم (إسماعيل) إلى غيابك .

قالت باكية :

ـ يؤلمنى ان اتركك وحدك يا (مفيد) .

اجابها محاولا التسرية عنها :

ـ لست وحدى .. فذلك اللص الذى شهد ضدى فى الحجرة المجاورة .

قالت وهى تنتحب :

ـ ماذا سيفعلون بك يا (مفيد) ؟

تنهد فى مرارة ، وقال :

ـ لست استبعد ان يفعلوا بى اى شىء .. حتى ان يقتلونى .

صرخت فى رعب :

ـ يقتلونك ؟!

اجابها :

ـ نعم .. يدعون محاولة فرارى ، ويطلقون على النار .

هتفت ملتاعة :

ـ لا تقل هذا يا (مفيد) .. لا تقل هذا .

تنهد فى عمق ، وقال :

ـ لا تشغلى عقلك بدناءاتهم يا (مديحة) .. هيا .. عودى إلى منزلك .

بللت دموعها وجهها كله ، وهى تقول :

ـ كم احبك يا (مفيد) !!

اختلج قلبه ، على الرغم من القضبان المحيطة به ، وتشبثت قبضتاه بأسوار سجنه ، وهو يهتف :

ـ تحبيننى ؟!

وانطلقت عواطفه كلها مع صوته ، وهو يتابع :

ـ يا لعجائب هذه الدنيا !!.. إننى اتمنى منذ عرفتك ان اسمع منك هذه الكلمة ، وبشاء الله (سبحانه وتعالى) الا اسمعها منك إلا وانا محاط بهذه القضبان ، واصابعى تعجز عن احتضان اصابعك .

هتفت :

ـ لا يا (مفيد) .. لن تعجز ابدا .

راحت ترفع قامتها الضئيلة ، باقصى ما يمكنها ، وتمد يدها إلى اعلى فى شدة ، وامتدت اصابعه هو خارج قضبان النافذة ..

وتلامست اصابعهما ..

لم تنجح يده فى احتضان كفها الرقيقة ..

ولكن الأصابع تلامست ..

وسرى تيار الحب بينها ..

وهتف (مفيد) من اعمق اعماق قلبه :

ـ احبك يا (مديحة) .. احبك .

سالت الدموع من عينيها مرة اخرى ، وهى تهتف :

ـ انا ايضا احبك .

كان القلبان الصغيران يعرفان الحب لاول مرة ..

يعرفان حبا صافيا نقيا ..

وفى حنان الدنيا كلها ، قال (مفيد) :

ـ هيا يا (مديحة) .. اذهبى .

غمغمت فى أسى :

ـ اذهب ؟

قال :

ـ نعم .. عودى إلى منزلك .

هتفت وهى تجفف دموعها :

ـ اهتم بنفسك كثيرا .

قال فى قلق :

ـ سافعل ، ولكن اذهبى بسرعة ، فانا اسمع وقع اقدام تقترب .. اذهبى .

تركت موقعهـا ، وراحت تبتعد عن المـكان فى سرعة ، إلا انها لم تلبث ان توقفت ، وغمغمت :

ـ ترى ماذا يريدون منه ، فى مثل هذا الوقت ؟..

وفجأة ، تناهى إلى مسامعها صوت احد الجنود يهتف :

ـ السجين يحاول الهرب .

سقط قلبها بين قدميها ، وهى تتذكر حديث (مفيد) عن اغتياله فى اثناء محاولة فرار ملفقة ، وهتفت فى ذعر :

ـ (مفيد) .

وفجأة انطلق دوى الرصاصات فى حجرة الحجز ، وصرخت (مديحة) فى لوعة لا مثيل لها :

ـ (مفيد) .. لا ..

* * *

ترقب البقيـة

فى العـدد القـادم

لقد هزمت البحار والمحيطات ..

وذهبت إلى أماكن
لم يبلغها أى قبطان آخر ..
2

وأصبحت شهيرًا
يسعى إلىّ كل الناس ..
مطلوب ..
WANTED
5000 $

والآن الدرس الأول :
.. ألق الهلب ..
3

هـوب

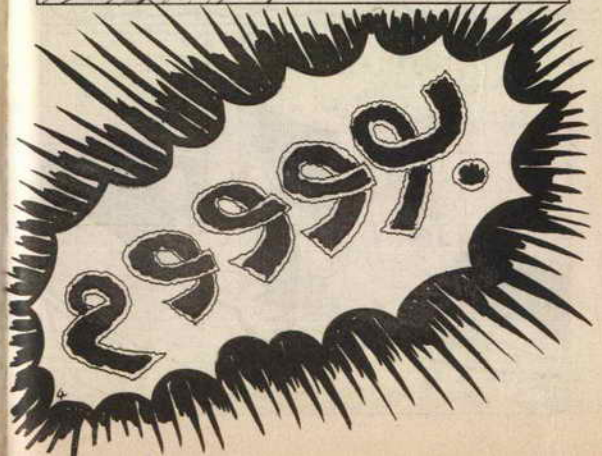
بووووم

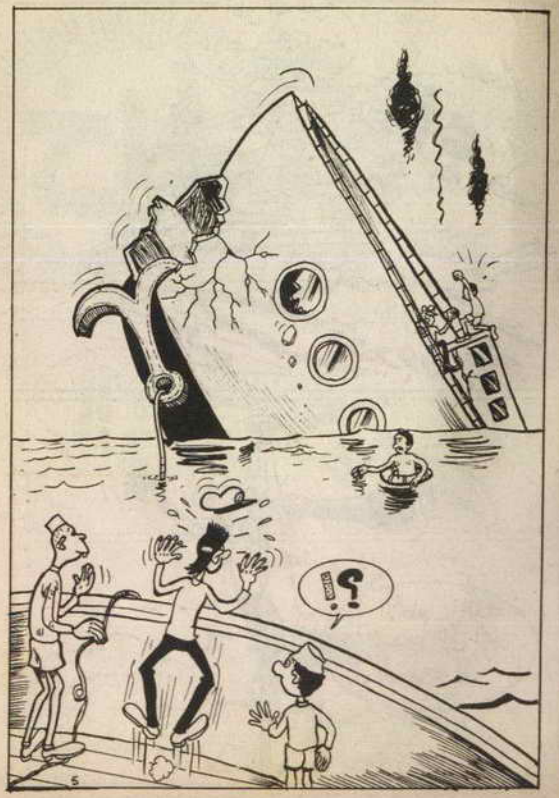
؟!

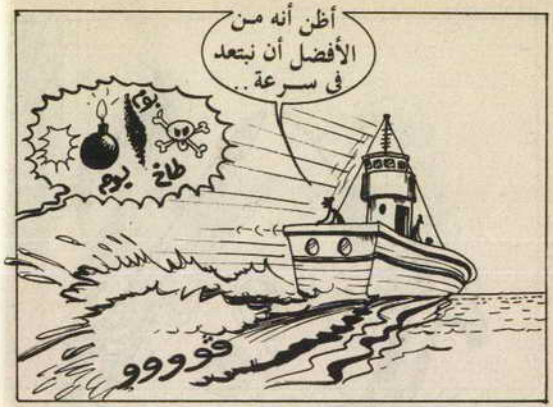
أظن أنه من الأفضل أن نبتعد فى سرعة ..
بوم
طاخ
فووووو

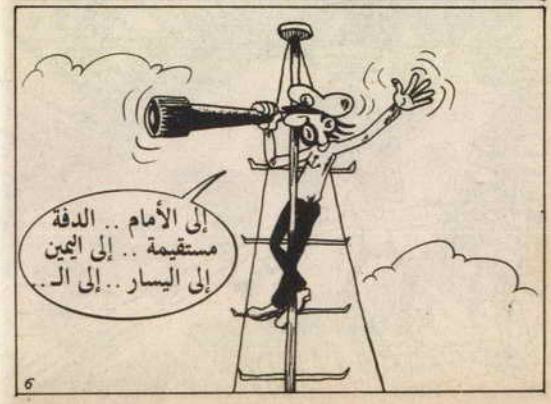
إلى الأمام .. الدفة مستقيمة .. إلى اليمين إلى اليسار .. إلى الـ ..

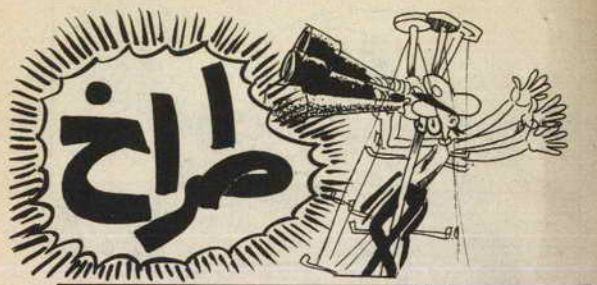
صراخ

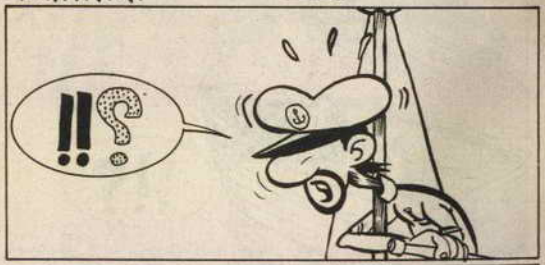
!؟

يبدو أننا قد ارتكبنا خطأً بسيطًا

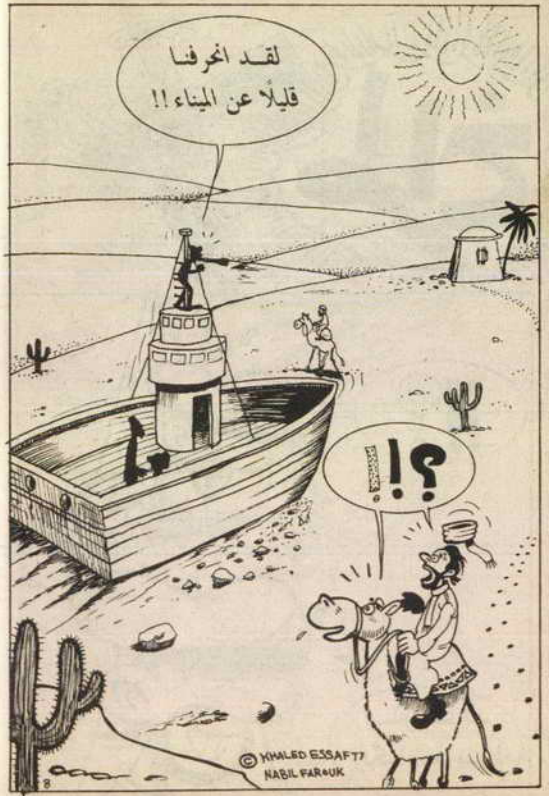

القشة

كانت تلك الضحكة ، التى انطلقت من بين شفتى (حسان) ، بكل ما تحويه من سخرية واستهتار ، بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ..

وكان البعير هنا هو شريكه (رميح) ، الذى فقد فجأة كل قدرته على السيطرة على اعصابه ، على الرغم من انه يحتمل سخرية وسخافة شريكه هذا منذ سنوات ، فامتدت يده تلتقط تمثالا ثقيلا ، وتهوى به بكل قوة ، على راس (حسان) .

وجحظت عينا (حسان) ، وهو يحدق فى وجه شريكه ، بمزيج من الذهول والألم والاســتنكار ، وتدفقت الدماء من جرح فى رأسه ، قبل ان يسقط على وجهه كالحجر ..

وشحب وجه (رميح) ، وامتقع فى شدة ، حتى صار اشد شحوبا من وجوه الموتى ، وراح يحدق فى جثة (حسان) فى رعب وذهول ، قبل ان تتراخى اصــابعه ويسقط التمثــال الثقيل من يده إلى الأرض ، ويصدر عن سقوطه دوى أيقظه من ذهوله ، وجعله يغمغم فى خفوت وارتياع :

ـ يا إلهى !!.. لقد قتلته !!

وتراجع فى ذعر وهلع ، دون ان يرفع عينيه عن الجثة ، حتى تهاوى فوق مقعده ، خلف مكتبه .

لقد قتله ..

قتل شريك عمره ..

قتل (حسان) ..

يا إلهى !! كيف فعل هذا ؟..

إنه يحتمله منذ سنوات ..

يحتمل سخريته المتواصلة ، واستهتاره الدائم به ..

إنه ينظر إليه دوما على انه شخص خامل ، بليد ، جبان ..

إنه يسخر منه دوما ..

ولكنه قتله ..

لقد أصبح قاتلا ..

إنه تماما كما قال (حسان) ، لا يصلح لأداء اى عمل ..

لقد صبر سنوات طوالا ، وعندما فقد اعصابه مرة واحدة ، صار قاتلا ..

والآن ماذا يفعل ؟..

كيف يتخلص من هذا المــازق ؟..

لقد قتل (حسان) فى مكتبهما ، وكل العاملين بالمكتب هنا..

كلهم سيرونه حتما ، لو حاول الفرار بالجثة ..

كلهم سيدينونه بشهادتهم ..

وسيكون هناك تحقيق ..

وسجن ..

وفضيحة ..

كلا .. إنه لن يحتمل ..

وبأصابع مرتجفة جذب درج مكتبه ، وتطلع إلى المسدس الرابض داخله فى سكون ..

إنه لم يستخدمه ابدا ، منذ اشتراه ..

لقد سخر منه (حســان) ، عندما علم انه قــد اشترى مسدسا ، وقال له ضاحكا ، إنه لن يجرؤ ابدا على حمله واستخدامه ، حتى لو هدد لص حياته ..

ومرة اخرى عاد يتطلع إلى جثة (حسان) ..

ماذا يفعل بها ؟.

افضل وسيلة هى ان يعترف بما حدث ..

ولكن هل سيصدقونه ؟..

وحتى لو فعلوا ..
حتى لو براته المحكمة ..
هل سيبرئه الناس ؟..
إنه يعرفهم .. سيظلوا يشيرون إليه دوما بأصابع الاتهام، وسيتحدثون فيما بينهم انه قتل شريكه ..
وستكسد تجارته .. وتبور ..
ولن يحتمل ذلك ..
يبدو انه ـ كما قال (حسان) ـ لا يجيد اداء اى عمل ..
إنه فاشل ..
فاشل ..
فاشل ..
وفجأة ، اتجه بصره نحو المسدس .
نعم .. هذا هو الحل الوحيد ..
سيثبت لـ (حسان)، وللجميع انه ليس خائبا او جبانا ..
سيثبت له انه يستطيع استخدام المسدس ..
وفى حزم ، قبضت أصابعه على المسدس ، ورفعـه إلى رأسه ، وهتف فى اعماقه ..
لست جبانا .. سأواجه الأمر فى حزم ..
ثم اطلق النار ..

* * *

انحنى الطبيب الشرعى يفحص إصابة رأس (حسان) فى اهتمام ، ثم نهض واقفا ، وهز رأسه فى أسف ، ثم نقل بصره بين (رميح) و (حسان) ، والتفت إلى وكيل النيابة ، قائلا :

ـ من الواضح انه قد لقى مصرعه على الفور .
تنهد وكيل النيابة ، قائلا :
ـ هذا واضح .. لقد سمع موظفو المكتب صوت طلقة الرصاص ، و ....
بتر عبـارته ، وكأنه ما من داع لتكرار شرح الموقف ، ثم رفع عينيه إلى الطبيب الشرعى ، وسأله فى اهتمام :
ـ هل يمكننا استجواب المسئول ؟
هز الطبيب الشرعى كتفيه ، وقال :
ـ المهم أن تعرف من هو المسئول ..
ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وغمغم :
ـ ولكنك ستجد من تستجوبه على الأقل .
واشار إلى جسد (حسان) قائلا :
ـ فهذا مصاب بفقدان وعى فحسب ، وإصابة رأسه بسيطة ، ويمكنك استجوابه ، فور استعادته وعيه .
ثم التفت إلى جثة (رميح) ، مستطردا فى حيرة :
ـ اما هذا فقد قتل نفسه برصاصة واحدة مباشرة فى الراس ، ولست ادرى لماذا فعل هذا ؟.. هل تعلم انت ؟..

* * *

الوحش

سيقتله هذه المرة ..

سيقتل الوحش ..

امتلأت نفسه بهذه الثقة ، وهو يقبع فى ركن اختاره فى دقة وعناية ، ويصوب البندقية الضخمة إلى النقطة التى يتوقع ظهور الوحش منها ..

لقد قرر أن يقتنصه هو هذه المرة ..

إنه يعلم أن والده قد فشل فى هذا مرتين ..

ولكنه هو سينجح ..

سيبذل اقصى جهده لهذا ..

كم يكره ذلك الوحش !! الذى داب على التهام أصدقائه بلا رحمة ..

تصبب العرق على جبينه غزيرا ، وبدت له البندقية شديدة الضخامة ، بالغة الثقل ، وهــو ينتظــر .. وينتظــر .. وينتظر ..

وفجأة ظهر الوحش ..

ظهر يتهادى فى مشيته كالمعتاد ، ويحرك لســانه الأحمر بين أنيابه ، وكأنما يعد نفسه لوجبة شهية جديدة ..

وصوب هو بندقيته فى إحكام ..

وتجمد الوحش ، وكأنما شعر بغريزته بما سيحدث ..

ثم تراجع الوحش فى سرعة ..

وضغط هو الزناد ..

وارتدت البندقية فى عنف ..

وارتطمت رأسه بالحائط خلفه ..

وفقد الوعى ..

لم يدر كيف ظل فاقد الوعى ، ولكنه عندما بدأ يستعيد وعيه ، سمع صوت أمه تغمغم :

ــ لقد فعلها .. فعلها بنفسه .

انضم إليها صوت أبيه ، وهو ينحنى ، مغمغما :

ــ نعم .. لقد نجح فيما فشلت أنا فيه مرتين .

انتفخت أوداجه فى فخر ، وهم بالاعلان عن اســتعادته لوعيه ، إلا أن كل هذه المشاعر لم تلبث أن زايلتــه بغتة ،

وحل محلها مزيج من القلق والخوف ، عندما استطرد ابوه فى غضب :

— صحيح انه قد فعلها ونجح فى مهمته ، وصحيح انه كان يحب تلك الدواجن ، كما لو كانت اصـدقاءه ، إلا ان هـذا لا يمنع من انه قد ارتكب خطأ فاحشا ، عندما اخـذ بندقيتى دون إذنى ، واستخدمها ليقتل قطا داب على التهام دواجنه ، فهذا لا يصح ابدا لمن كان فى مثل سنه .

وصمت الوالد لحظة ، قبل ان يستطرد فى غضب اشد :

— إنه لم يتجاوز العاشرة من عمره بعد .

وقرر أن يتظاهر بالغيبوبة لأطول وقت ممكن ؛ فيد والده ثقيلة للغاية ..

* * *

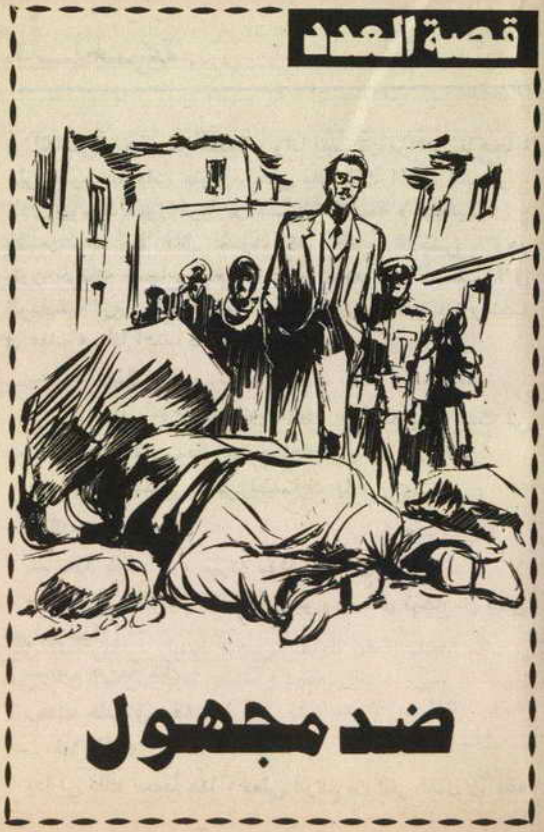

١ ــ الجـريمة ..

انتابتنى موجة حنق شديد ، وانا اهب من فراشى منزعجا ، على صوت طرقات عنيفة ، على باب ذلك المنزل الصغير ، الذى يتوسط حقول قرية من قـرى محافظة (المنوفيـة) ، وشعرت بسخط هائل لصوت خفير القرية الأجش ، وهو يقرن طرقاته بصياح مرتفع مزعج ، يردد فيه اسـمى ، فى السادسة من صباح الجمعة ، واندفعت نحو الباب ، وفتحته فى عنف ، وانا اهتف به محتدا :

ــ ماذا هناك ؟

تراجع الخفير ، وهو يؤدى تحية عسـكرية ، بدت لى سخيفة ، بلا ادنى معنى ، مع إجابته :

ــ البك المـأمور كلفنى إحضارك يا سيدى .

سألته فى ضيق :

ــ ماذا هناك ؟.. سرقة مواشى اخرى ؟!

عقد الخفير حاجبيه الكثين ، وهو يجيب فى لهجة من يعلن خبرا رهيبا :

ــ بل جريمة قتل .

رددت خلفه فى دهشة :

ــ قتل ؟!..

بدا لى ذلك عجيبا حقا ، فعلى الرغم من اننى اعمل فى هذه

القرية ، كوكيل نيابة ، منذ تخرجى من كلية الحقوق ، وعلى الرغم من كثرة المشاكل والقضايا فيها ، إلا انها لم تتعد كلها مشاجرات ومشاحنات ، او سرقة بعض المواشى على اكثر تقدير ، حتى انها بدت لى قرية عادية ، لم اتوقع ان التقى فيها بجريمة قتل ابدا ..

والعجيب ان الأمر قد شحذ همتى فى شدة ، وكأنما سئمت نفسى التحقيق فى الجرائم العادية ، وبدات تميل إلى القليل من الإثارة وتحفيز العقل ..

وانت تجد هذين العاملين ــ عادة ــ فى جرائم القتل .. القتل وحده ..

وعنـدما ارتديت ملابسى ، وصحبت الخفـير إلى مسرح الجريمة ، كنت اعلم انها ليست جريمة تقليدية ..

ولكننى لم اتصور حقيقتها ابدا ..

إنها لم تكن جريمة غير تقليدية فحسب ..

وإنما مذهلة ..

مذهلة بحق ..

* * *

لم احتمل النظر طويلا إلى جثة القتيل ، التى استقرت فى ساحة كبيرة ، تطل عليها واجهات ثلاثة من منازل القرية ، ذات الطابقين ، وقد تهشم راس القتيل تماما بحجر ضخم ، احتاج رفعه إلى اثنين من جنود الشرطة الأقوياء ، بعد معاينة المكان ..

وعلى الرغم من بشاعة المشهد ، بذلت اقصى جهدى لأبدو متماسكا ، وانا التفت إلى المأمور ، واساله :

ـ الديك معلومات عن القتيل ؟

اومأ برأسه إيجابا ، وقال :

ـ اسمه (حجاج يوسف) ، كاتب الوحدة الصحية بالقرية ، وهو شخص بغيض ، شره للمال ، لا يمت للشرف والأمانة بأدنى صلة ، وكثيرا ما تشاحن مع ابناء القرية ، وقدم بعضهم شكاوى عديدة ضده إلى الجهات المسئولة ، واجريت له عدة تحقيقات ، ولكنه لم يدان فى اى منها ، نظرا لخبثه الشديد ، وذكائه فى التحايل على القوانين ، وإثبات عدم تورطه فى اى امر .

هززت راسى مغمغما :

ـ هى جريمة انتقام إذن .

مط شفتيه مغمغما :

ـ هذا ما يبدو للوهلة الأولى ، فمن المحتمل انه قد أساء إلى شخص ما ، وان هذا الشخص قد يئس من ان يعاقبه المسئولون ، فانتقص منه بنفسه .

قلت فى اهتمام :

ـ هذا يقلل من حجم دائرة الاشتباه إذن .

رفع عينيه إلى منزل يواجه الجثة تماما ، وقال فى حزم :

ـ ربما كانت لدينا فرصة لحصر الاشتباه فى شخص واحد .

سالته فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

اشار إلى نافذة مفتوحة فى الطابق الأرضى من المنزل المواجه ، وهو يقول فى حزم :

ـ ربما كان لدينا شاهد عيان ، فالخفير (حسان) يؤكد انها كانت مفتوحة منذ البداية .

التفت إلى النافذة بدورى ، وقلت فى حماس :

ـ نعم .. أعتقد ذلك .

ثم اتجهت نحو المنزل ، مستطردا فى قوة :

ـ ومن السهل التاكد من هذا .

طرقت باب المنزل فى قوة ، ولم تمض ثوان معدودة ، حتى فتح الباب ، وظهر على عتبته رجل فى اواخر الأربعينيات من عمره ، بدا شديد الصرامة ، وهو يسالنى :

ـ ماذا هناك ؟

كنت اعلم ان سنوات عمرى ، التى لم تتجاوز بعد ربع القرن ، قد تجعلنى ابدو ضئيلا امامه ، فقلت فى صرامة ، محاولا السيطرة على الموقف :

ـ انا (حازم إبراهيم) ، وكيل نيابة الناحية ، و ...

قاطعه فى حزم :

ـ اعلم ذلك .

عقدت حاجبى ، قائلا :

ـ هل تعلم ايضا سبب وجودى هنا ؟

أومأ برأسه إيجابا فى بطء ، وهو يقول :

— نعم .. اعلم .

تطلعت إليه لحظة فى صمت وتحد ، قبل أن أسأله :

— كيف علمت بحدوث جريمة القتل ؟

أجابنى فى برود :

— سمعت الخفير (حسان) يصرخ معلنا ذلك .

سألته فى حدة مباغتة :

— وهل نظرت إلى الجثة ؟

أجابنى فى هدوء :

— الجميع فعلوا .

قلت فى عنف :

— بمن فيهم أنت ؟

تطلع إلى وجهى بنفس البرود ، وهو يقول :

— بالتأكيد .

راودنى شعور قوى بأنه لهذا الرجل يدا فى جريمة القتل ، فسألته فى لهجة أقرب إلى الهجوم :

— هناك نافذة مفتوحة فى منزلك ، تطل على الساحة ، التى حدثت فيها الجريمة ، فمن يقطن الحجرة التى بها هذه النافذة .

تردد لحظة ، ثم أجابنى فى حزم :

— ابنى (علوان) .

قلت فى صلابة :

— إذن فقد رأى ابنك (علوان) الجريمة .

تردد لحظة أخرى ، ثم قال :

— ربما .

سألته فى حدة :

— ماذا تعنى بـ (ربما) ؟!.. أرأى الجريمة أم لا ؟

هز الرجل كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— اسأله .

هتفت وقد أغاظنى أسلوبه :

— سأفعل .

أمسك المأمور ذراعى ، وهو يقول فى لهجة نصوح :

— للشيخ (مراد) ابن واحد ، هو (علوان) ، و ...

رق صوته ، وهو يتابع فى خفوت :

— وهو مقعد .

سألته فى دهشة :

— وما الذى يعنيه ذلك ؟.. حتى المقعد يمكنه أن يرى جريمة قتل ، ما لم يكن أعمى .

قال الشيخ (مراد) فى حزم :

— لا .. (علوان) ليس أعمى .

ثم أفسح الطريق بغتة ، مستطردا :

— تعال .. يمكنك رؤيته .

ادهشنى اسلوبه حقا ، ولكن هذا لم يمنعنى من ان اتجه انا والمأمور إلى حجرة (علوان) ، ولم اكد الجهاز حتى انتابنى شعور شديد بالشفقة ، تجاه ذلك الشاب الشديد النحول ، الذى يجلس صامتا فوق مقعد متحرك ، وقد بدت عظام وجنتيه بارزة ، وبدت عيناه جاحظتين فى شدة ، على نحو يجعلك تميل إلى اعتقاده ابله او معتوها ، لولا تلك الالتماعة فى عينيه ، عندما رفعهما ليرمقنا بنظرة حذرة متخوفة ، عند دخولنا إلى حجرته ، حتى لقد بدا لى اشبه بذئب جريح ، فاجاه الصيادون على حين غرة ..

واسرع الشيخ (مراد) نحو ابنه ، وربت على كتفيه ، وهو يقول فى لهجة تجمع بين الشفقة والقلق :

ـ اهدا يا ولدى .. اهدا .. إنهما صديقان .. اهدا ..

راح (علوان) يرمقنى والمأمور بنظرات حذرة قلقة ، ثم لم يلبث ان هدا نسبيا ، واسترخى فى مقعده المتحرك ، فازدردت لعابى ، فى محاولة لتهدئة انفعالى ، والتفتت إلى النافذة المفتوحة ، التى كان من الواضح انها تطل على

ساحة الجريمة فى وضوح ، ثم عدت استدير إلى (علوان) ، واسأله :

ـ هل رايت ما حدث يا (علوان) ؟

ظل الشاب يتطلع إلى بعينيه البارزتين الحادتين ، دون ان تبدو عليه ادنى بادرة ، تشير إلى فهمه لسؤالى ، مما جعلنى اسأل والده فى حيرة :

ـ اهو اصم ؟

اومأ براسه إيجابا ، وقال :

ـ إنه اصم ابكم منذ مولده .. ولكنه يقرأ حركات الشفاه جيدا .

سألته فى حيرة :

ـ اتعنى انه يفهمنى ؟

اومأ براسه إيجابا ، دون ان ينبس ببنت شفة ، فسألته مرة اخرى فى دهشة :

ـ لماذا لا يجيب إذن ؟

هز كتفيه ، قائلا :

ـ لانه لا يريد ذلك .

هتفت فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

ـ لا يريد ذلك ؟!

ثم التفت إلى (علوان) ، اهتف به فى غضب :

ـ ارايت الجريمة ام لا ؟.. اجب .

بدا الغضب فى العينين البارزتين لحظة ، فأسرع الشيخ (مراد) يقول فى قلق :

ـ اهدأ يا ولدى .. إنه لا يقصد بك شرا .. اهدأ .

حاولت ان اسيطر على اعصابى، وانا اسأله مرة اخرى :

ـ اسمع يا (علوان) .. لست اريد بك شرا حقـا ، ولكننى احاول حل غموض جريمة قتل ، والقتل شىء بغيض يا فتى ، والوسيلة الوحيدة لعقاب مرتكب تلك الجريمة هى ان نجد دليلا يدينه ، او شاهد إثبات ضده ، وفى هذه الجريمة بالذات ، انت شاهد الإثبات الوحيد ، وينبغى أن تخبرنى ، ارايت الحادث ام لا ؟

ظل (علوان) صامتا لحظات ، ثم لم يلبث ان هز راسه نفيا فى بطء ، وعيناه البارزتان تحدقان فى وجهى فى اهتمام ..

واطلق الشيخ (مراد) تنهيدة ارتياح قوية ..

تلك التنهيدة جعلتنى اشعر بغتة بقلق مزدوج ، وبعثت فى عروقى شكا قويا ..

لمـاذا الارتياح ؟..

(علوان) يكذب ولا شك ..

والشيخ (مراد) يعلم هذا ..

ما معنى هذا الأمر ؟..

لمـاذا يكذب (علوان) ؟..

ولمـاذا يشعر الشيخ (مراد) بالارتياح ؛ لأن ابنه قـد كذب ؟..

ما تفسير هذا ؟..

فجأة ، قطع افكارى صوت احد رجال الشرطة ، وهو يطل برأسه من النافذة المفتوحة ، ويقول للمـأمور .

ـ سيدى .. هناك امر هام .

نهض المـأمور من مقعده ، واتجه إليه على الفور ، ومال بأذنه نحوه ، وراح الجندى يهمس له بكلمات لم اسمعها ..

وبغتة ، أدرت وجهى نحـو (علوان) ، ورأيت ما كنت اتوقعه ..

كان يحدق فى المـأمور والجندى فى اهتمام شديد ، وكانت عيناه تبدوان اكثر بروزا والتماعا ..

كان من الواضح أنه يقرأ حركات شفتى الجندى ..

وانه قد علم ما ينقله للمـأمور ، قبل ان يلتفت إلى هذا الأخير ، ويقول فى حزم :

ـ يبدو أن (علوان) ليس شاهد الإثبـات الوحيـد فى القضية ، كما كنا نظن .

ثم القى نظرة صـارمة على (علوان) ووالده ، قبل ان يستطرد فى شىء من الحزم والشماتة :

ـ هناك شاهد آخر ، هو الحـاج (مندور) ، جارك يا شيخ (مراد) ، ولديه شهادة بانه قد شاهد القاتل .

وازدادت لهجته حزما وصرامة ، وهو يستطرد :

ـ شاهدك انت يا شيخ (مراد) .

* * *

٢ ــ الشـاهد ..

كان القلق يبدو واضحا على وجه الحاج (مندور) ، وهو ينقل بصره بينى وبين المأمور ، ووجـه الشـيخ (مراد) الصارم ، وبدت لمحة خوف فى ملامحه ، وهو يتطلع إلى وجه هذا الأخير ، جعلتنى أقول لأحد رجال الشرطة :

ــ خذ الشيخ (مراد) بعيدا .

صحب الجندى الشيخ (مراد) بعيدا عن الساحة ، حيث انهمك رجال المعمل الجنائى فى فحص المـكان والحجر (أداة الجريمة) ، بعد رفع الجثة ، وسألت أنا الحاج (مندور) :

ــ ماذا لديك ؟

ألقى الرجل نظرة خوف أخرى على الشيخ (مراد) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فصحت به فى عصبية :

ــ هل تخشاه إلى هذا الحد ؟

تردد لحظة ، وهو يختلس النظر إلى حيث يقف الشيخ (مراد) ، ثم همس فى خوف واضح :

ــ القرية كلها تخشاه .

ثم استطرد فى توتر ، وهو يلوح بيده فى انفعال :

ــ إنه منزل ملعون .. لقد كان والده يؤاخى الجن ، حتى أنه كان يمتلك القدرة على دفع الحصى لتنـاطح بعضـها البعض ، و ...

عقد المأمور حاجبيه ، وهو يقاطعه فى صرامة :

ــ صه يا رجل ، لسنا هنا لنستمع إلى ترهات حول أمور الشعوذة ، إنها جريمة قتل ، ونحن نريد الحقائق .. الحقائق فحسب .

تردد الحاج (مندور) لحظة أخرى ، وهو يختلس النظـر إلى الشيخ (مراد) مرة أخرى ، قبل أن يهمس فى خوف :

ــ لقد رأيته .

سألته فى عصبية :

ــ رأيت من ؟!.. أريد إجابات واضحة .

هتف كمن قرر أن يلقى العبء كله عن ظهره :

ــ رأيت الشيخ (مراد) أمام الجثة .. جثة (حجاج) .

وعلى الرغم من الوضوح الظاهرى للشهادة ، إلا أنهـا كانت تحتاج إلى تأكيد ، جعلنى أسأله مرة أخرى فى عصبية :

ــ رأيته يقتله ؟!

أجابنى فى سرعة :

ــ لا .. رأيته ينحنى فوق الجثة ، بعد الحادث مباشرة .

قال المأمور فى اهتمام :

ــ صف لنا ما رأيته بالضبط .

أجابه فى استسلام :

ــ كنت أستعد لمغادرة منزلى ، والذهـاب إلى حقلى ، عندما سمعت صوت ارتطام مكتـوم ، أعقبته شـهقة ألم ، وصوت ارتطام جسد بالأرض ، فأسرعت إلى النـافذة ،

وحاولت أن أنظر إلى الساحة ، ولكن نافذة حجرتى لم تكن تطل عليها كلها ، فذهبت إلى نافذة أخرى ، ورأيت الشيخ (مراد) ينحنى على جثة (حجاج) ، والقلق يملأ وجهه وملامحه ، ثم رأيته يستدير إلى منزله فى توتر شديد ، وينطلق إليه ، ويغلق بابه خلفه فى سرعة .

سألته أنا فى لهفة :

ـ وماذا فعلت حينذاك ؟

أجابنى فى توتر :

ـ عدت إلى دارى ، وأغلقت بابى خلفى .

هتفت محنقا :

ـ ولماذا لم تبلغ العمدة ، أو المأمور ؟

اختلس نظرة خائفة أخرى إلى حيث يقف الشيخ (مراد)، وقال :

ـ لقد شعرت بالخوف .

قال المأمور فى صرامة :

ـ حسنا يا رجل .. فلتحتفظ بخوفك لو أردت ، ولكن قل لنا : هل تتهم الشيخ (مراد) بارتكاب الجريمة ؟

تراجع الرجل هاتفا فى ذعر :

ـ لا .. أنا لم أتهمه .. لقد أخبرتكما بما رأيته فحسب .

أسرعت أنا أسأله :

ـ حسنا .. قل لى إذن : هل تجد مبررا لدى الشيخ (مراد) ، لقتل (حجاج) ؟.

تردد مرة أخرى ، ثم قال :

ـ الواقع انه هناك سبب غير مؤكد ، فلقد سمعت أمس (حجاج) ، وهو يتشاجر مع الشيخ (مراد) .

سألته فى اهتمام :

ـ وماذا كان موضوع الشجار ؟

قال مترددا :

ـ اظنه كان حول محل بقالة صغير ، أراد الشيخ (مراد) افتتاحه فى منزله ، وحاول (حجاج) أن يتقاضى منه رشوة ، مقابل الترخيص الصحى ، حيث إن (حجاج) هو المسئول عن منح هذا الترخيص، لكل من يفتتح متجرا يختص بالأغذية فى القرية ، فهـو المراقب الصحى للقرية ، إلى جوار كونه كاتب الوحدة .

قلت فى دهشة :

ـ أيستحق هذا الأمر أن يقتله الشيخ (مراد) ؟

هز كتفيه ، قائلا :

ـ لست ادرى .

ثم اختلس النظر مرة اخرى إلى حيث يقف الشيخ مراد ، مردفا :

ـ ولكنه رجل عجيب مخيف على اية حال .

جال بخاطرى فجأة سؤال ، اسرعت اطرحه قائلا :

ـ قل لى : هل كانت هذه النافذة مفتوحة ، عندما وقع الحادث .

قلت هذا وانا اشير إلى نافذة حجرة (علوان) ، فالقى عليها الحاج (مندور) نظـرة سريعة ، قبـل ان يجيب فى حسم :

ـ نعم .. كانت مفتوحة .

سـألته :

ـ وهل كان (علوان) يجلس هناك ؟

قال بسرعة :

ـ إنه دائما هناك .

قال المأمور بنفاد صبر واضح :

ـ لقد بات الأمر شديد الوضـوح يا (حازم) بك .. مر بإلقاء القبض على الشيخ (مراد) ، و ...

قاطعه احد رجال المعمل الجنائى ، فى لهجة تحمل الكثير من الحيرة :

ـ قبل أن تتهم احدا ، عليك أن تجد تفسيرا لكيفية وقوع الجريمة .

التفت إليه المـأمور ، قائلا فى حدة :

ـ ماذا تعنى ؟

أشار الرجل إلى الحجـر الضـخم ، الذى ارتكبت به الجريمة ، وهو يقول :

ـ أعنى أن هذه الحجر الملوث بالدماء ، والذى تؤكدون انكم قد رفعتمـوه عن راس القتيل ، يبلغ وزنه تسـعين كيلوجراما تقريبا ، وما من مخلوق بشرى عادى يمـكنه أن يحمله ، ويضرب به راس القتيل .

شحب وجه الحاج (مندور) ، وتراجع فى رعب ، وهـو يهتف :

ـ ما من مخلـوق بشرى ؟!.. إذن فهم الجن .. الجن قتلوا (حجاج) .

وراح يشير إلى الشيخ (مراد) ، وهو يتراجع فى ذعر ، هاتفا :

ــ أنت كوالدك ، تستعين بالجن .. أنت دفعتهم لقتل (حجاج) .. أنت القاتل .

عقد الشيخ (مراد) حاجبيه ، وهو يهتف فى حنق :

ــ كفى جنونا يا رجل .. اى جن هذا ؟.. أنت مخبول ولا شك .

تراجع الحاج (مندور) اكثر ، وهو يصرخ :

ــ أنت القاتل .. أنت القاتل .

ثم اندفع يعدو إلى منزله ، ويغلق بابه خلفه فى قـــوة ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيـــه شهقة غاضبة ، جعلت الجميع يلتفتون إلى نافذة حجرة (علوان) ، حيث جلس هذا الأخير يتطلع إلى الجميع بعينيـــه البـــارزتين اللامعتين ، والغضب يملأ كل خلجة من خلجاته ، فاسرع الشيخ (مراد) يهتف به :

ــ لا تهتم بقوله يا ولدى .. إنه رجل مخبول .

هتف المأمور فى حنق :

ــ لست ادرى من المخبول هنا يا رجل ؟

ثم التفت إلى هاتفا :

ــ هيا يا (حازم) بك .. إنه الأمر ، ومر بإلقاء القبض على الشيخ (مراد) .

قلت مترددا :

ــ ليس الأمر بالسهولة التى تتصورها يا سيادة المـــأمور ، فلابد ــ على حد قول رجل المعمل الجنائى ــ أن نجد تفسيرا لكيفية ارتكاب الجريمة .

هتف ساخطا :

ــ اى تفسير ؟.. إنه امر واضح للغاية .. لقـــد حمل الحجر ، وضرب به (حجاج) ، و ....

قاطعته فى حزم :

ــ حمل حجرا يزن تسعين كيلوجراما ؟!

قال فى غضب :

ــ وماذا فى هذا ؟.. ربما هو رجل قوى .

قال رجل المعمل الجنائى :

ــ الأمر يحتـــاج إلى ما هو اكثر من القـــوة فى الواقع ، إلا إذا كان من عادة الشيخ (مراد) أن يرتدى قفازين .

التفت إليه المـــأمور فى دهشة ، وسالته انا فى حيرة :

ــ وما شأن القفازين ؟

لوح بكفه ، قائلا :

ــ لأن هذا الحجر ، بعد فحصه بدقة متناهية ، لا يحوى بصمة إصبع واحدة .

هتف المـــأمور :

ــ ماذا ؟..

وقلت انا فى توتر :

ــ ولكن هذا مستحيل !!.. فليس من عادة اهل القرى ارتداء القفازات ، ولابد لمن يحمل الحجر من أن يترك بصماته عليه ، و ...

قاطعتنى صرخة انطلقت من الطابق العلوى لمنزل الحـــاج (مندور) ، وتحمل صوته وهو يهتف فى رعب هائل :

ــ لا .. ليس انا .. ليس انا .

ولم تكد عيوننا ترتفع إلى نافذة الطابق الثانى ، حتى اخترقتها جسد الحاج (مندور) فى قوة ، كما لو أن يدا ذات قوة هائلة قد دفعته عبرها ، وسقط بظهره من هذا الارتفاع ، وهو يطلق صرخة لم اسمع اشد منها رعبا فى حياتى. كلها ، انتهت بارتطامه بالأرض فى عنف ، ارتجفت له الدماء فى عروقنا ..

وتسمرنا جميعا فى اماكننا لحظة ، قبل أن يهتف المأمور فى جنوده :

ــ اسرعوا إلى الطابق العلوى .. وامسكوا القاتل على الفور .

أما انا ، فقد اسرعت نحو جسد الحاج (مندور) ، الملقى ارضا وانحنيت افحصه فى جزع ، وهالتنى نظرة الرعب التى تملأ عينيه ، وهو يحدق فى وجهى ، قبل أن يمسك كفى الممتدة نحوه فى قوة ، ويهتف بفم ممتلأ بالدماء :

ــ الجن .. الجن ..

ثم اسلم الروح ..

* * *

٣ ــ الجنّ ..

« هراء .. » .

قالها المأمور فى عصبية بالغة ، وهو يشعل سيجارته ، ويجلس خلف مكتبه بنقطة الشرطة ، قبل أن يلقى قداحته فوق المكتب فى حدة ، وينفث دخان السيجارة فى قوة ، مستطردا :

ــ لن اصدق امر الجن هذا ابدا .

قلت فى توتر ممائل ، وانا اجلس على المقعد المقابل لمكتبه :

ــ اوجد لى تفسير آخر إذن لكل ما حدث .. لقد سقط الحاج (مندور) من الطابق الثانى لمنزله ، واسرع رجالك إلى هناك بعد لحظات من سقوطه ، ولكنهم لم يجدوا بالمنزل سوى ابنته الصغيرة ، وكانت تجلس فى الطابق السفلى ، ولم يكن هناك اى مخلوق فى الطابق العلوى .

صمت لحظة ، ثم استدركت :

ــ اى مخلوق بشرى بالطبع .

لوح المأمور بكفه فى عصبية ، وهو يقول :

ــ ربما انزلق الرجل ، واصطدم بالنافذة ، و.... .

قاطعته فى حزم :

ــ انت تعلم ان هذا التفسير لا يتفق ابدا مع الأحداث ، فلقد سمعنا جميعا الرجل يصرخ ، قبل وقوعه بلحظات ، وهذا يعنى انه كان يواجه شخصا ما ، او شيئا ما ، ثم إنه

قد ارتطم بالنافذة بظهره ، واندفع بعيدا عنها بما لا يقل عن الأمتار الثلاثة ، وكأنما تلقى لكمة من قوة هائلة ، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة كرر كلمة واحدة .. (الجن) .

بدا المأمور اكثر عصبية ، وهو ينفث دخان سيجارته ، قائلا :

— ليس من السهل ان اومن بوجود الجن .

قلت مستنكرا :

— ولكن إيمانك بوجود الجن جزء من إيمانك بدينك ، فلقد اكد الله (سبحانه وتعالى) وجودهم اكثر من مرة ، فى القرآن الكريم ، ولقد استعان بهم النبى (سليمان) ، وسخرهم ، و ...

قاطعنى محتدا :

— هل ستذكر ذلك فى تقريرك الرسمى ؟

صدمنى سؤاله لحظة ، قبل ان اهز راسى ، مغمغما :

— لست ادرى .

قال فى توتر شديد :

— كان الأجدى ان تلقى القبض على الشيخ (مراد) .

قلت :

— وماذا عن الحجر الخالى من البصمات ؟

قال فى حدة :

— ربما دفعه بواسطة عتلة ، من فوق سطح منزل او ...

قاطعته :

— مستحيل !! فلقد اصيب (حجاج) على بعد ثلاثة امتار من منزل الشيخ (مراد) ، و... -

بترت عبارتى بغتة ، وعقدت حاجبى ، مغمغما فى توتر :

— ولكن ....

توقفت مرة اخرى ، فسالنى المأمور فى قلق :

— ولكن ماذا ؟

ترددت لحظة ، ثم قلت :

— لست ادرى .. إنه شعور داخلى فحسب ، فأنا واثق من ان (علوان) قد راى الجريمة ، ولكنه يرفض الاعتراف بذلك لسبب ما .

قال فى اهتمام :

— هذا يؤكد اتهام الشيخ (مراد) إذن ، فلا ريب انه هو مرتكب الجريمة ، وان ابنه (علوان) قد راى ما حدث ، ولهذا يدعى عدم رؤية الجريمة ، حتى لا يدين والده ، هذا هو التفسير الوحيد ..

قلت فى شدة :

— ولكنه لا يفسر عدم وجود بصمات على الحجر ، ولا كيفية حمل الشيخ (مراد) لحجر يزن تسعين كيلوجراما او اكثر .

احتقن وجه المأمور لحظة ، ثم قال فى حدة :

— أما زلت تصر على ان الجن هم الذين حملوا الحجر ، وضربوا به راس (حجاج) .

تنهدت فى عمق ، وانا اقول :

— لست اصر على شىء .

ثم اضفت فى اهتمام :

— ولكننى احتاج إلى مزيد من التحريات .

دفع مجموعة اوراق فوق مكتبه فى حنق ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى .. كلها لم تفد شيئا .
نهضت واقفا ، وانا اقول :
ـ ربما تفشل التحريات الرسمية دوما .
سالنى فى قلق :
ـ وماذا تنوى ان تفعل .
اجبته ، وانا اتجه نحو الباب :
ـ سأجرى بعض التحريات ، بصفة ودية .
هتف بى :
ـ حذار إذن .
وانخفض صوته ، وهو يشيح بوجهه ، مستطردا :
ـ حذار من الجن ..

* * *

استقبلنى العمدة فى حرارة شديدة كالمعتاد ، وقادنى إلى حجرة الضيافة ، وهو يهتف بعبارات الترحاب ، ولم يكد يستقر بنا المقام ، وتتراص امامنا اقداح الشاى ، حتى سالته فى اهتمام :
ـ لقد سمعت بأمر حادث (حجاج) بالطبع يا عمدة .. اليس كذلك ؟
قفز الحذر إلى ملامحه وصوته على الفور ، وهو يقول :
ـ بالطبع ، فالقرى صغيرة ، والأخبار تنتشر فيها بسرعة .
سالته محاولا منح صوتى اكبر قدر ممكن من الهدوء :
ـ هل تعتقد أن (حجاج) كان يستحق القتل ؟
تردد لحظة ، قبل ان يقول فى حذر :
ـ كان الجميع هنا يبغضونه .

سالته بغتة :
ـ وماذا عن الشيخ (مراد) ؟
تراجع فى حدة ، عندما فاجاه السؤال ، واجابنى متوترا :
ـ ماذا عنه ؟
سالته فى اهتمام :
ـ لماذا يخشاه الجميع ؟
بدا لحظة انه سيجيب السؤال ، ولكنه لم يلبث ان استعاد حذره ، وهو يقول :
ـ لا ريب ان لديهم اسبابهم .
ضايقتنى إجابته الملتوية ، فقلت :
ـ هل له علاقة بالجن حقا ؟
تردد لحظة ، ثم اجاب :
ـ لقد كان والده كذلك .. وهناك امور يرثها الأبناء حتما .
عقدت حاجبى فى صرامة ، وانا اقول :
ـ لم لا تجيبنى فى صراحة يا عمدة ؟
خفض عينيه ، متحاشيا النظر إلى وجهى ، وهو يقول :
ـ لأننى اجهل الإجابات يا سيادة الوكيل .
قلت فى غضب :
ـ بل تعلمها يا عمدة ، ولكنك تخشى التصريح بها .
تنهد فى مرارة ، وهو يقول :
ـ لم اعتد التصريح بما لا اثق فيه .
نهضت محتدا ، وانا اقول :
ـ حسنا .. سابحث عن الأجوبة فى مكان آخر .
نهض مرتبكا ، وهو يقول :
ـ لماذا ؟.. ساخبرك بكل ما لدى .

قلت فى صرامة :

ـــ حسنا .. هات ما لديك .

جلست معه مرة اخرى ، وهو يطلق من اعماق قلبه زفرة قوية ، قبل ان يقول :

ـــ لا احد يمكنه ان يجزم بما إذا كان الشـــيخ (مراد) متصلا بالجن ام لا ، ولكن والده كان كذلك ، وعندما تزوج الشيخ (مراد) ، انجب ابنه (علوان) هذا بعد سبعة اشهر فقط ، ولقد ولد ضعيفا ، مصابا بعيب خلقى فى ســـاقيه ، منعه من الحركة طيلة عمره ، وبعاهتى فقدان السمع والكلام ، ولقد لقيت زوجة الشيخ (مراد) مصرعها على نحو غامض ، عندما سقطت من سطح منزله ، ولقد اصيب (علوان) ايامها بنوبة عصبية ، وكان بعد فى السادسة من عمـــره ، ومن يومها صار الشيخ (مراد) يتحاشى اهل القرية ، وقبع فى منزله مع ابنه ، وراح الناس يتحدثون عن اتصاله بالجان مثل والده .

سألت العمدة فى اهتمام شديد :

ـــ وهل حدث ان تورط من قبل فى حادثة قتل ؟

هز الرجل راسه نفيا ، وهو يقول :

ـــ لا .. هذه اول مرة .

غادرت منزل العمدة وانا اشد حيرة من ذى قبل ..

كل التحريات تقودنى إلى نقطة مخيفة ..

إلى عالم يخشاه كل بشرى ..

عالم المجهول ..

عالم الجن ..

ورحت اتسائل ، وانا اسير على غير هدى ..

ورحت افكر ..

هل ارتكب الشـــيخ (مراد) الجريمة بمعـــاونة الجن بالفعل ؟

اهذا ممكن ؟!

وماذا لو انه قد فعل حقا ؟!

هل يمكن اتهامه بالقتل ؟..

هل يمكن العثور على دليل إدانته ؟..

لقد علمنى عملى كوكيل نيابة ، ان الشكوك وحدها لا تكفى لإدانة شخص ما ، او حتى لمحاكمته ..

لابد من دليل ..

دليل مادى ..

فجاة ، افقت من شرودى لاجـــد نفسى امام منزل الشيخ (مراد) ..

لقد قادتنى قدماى إليه دون ان ادرى ..

وشعرت بقلق خفى ، عنـــدما وجدت نفسى فى ســـاحة الجريمة ، وامام منزل رجل يشاع انه على اتصال بعـــالم الجن ، وكدت اعدو مبتعدا ، لولا ان تناهى إلى مسامعى صوت يخرج من منزل الشيخ (مراد) ، لرجل يقول فى لهجة تحمل نبرات التهديد :

ـــ إننى اعلم كل شىء ، ولقد رايت ما حدث .

جذبتنى العبارة فى شدة ، وايقظت كل فضول اعماقى ، فنسيت كل شىء عن الجن والأشباح ، واصول اللبـــاقة ، واقتربت من باب منزل الشيخ (مراد) ، استمع إلى صوت هذا الاخير ، وهو يقول :

ـــ لن يمكنك ان تثبت شيئا يا (صالح) .

اجابه (صالح) هذا فى سخرية :

— ومن يحتاج إلى الإثبات ؟.. يكفى أن اخبر الجميع بما تحاول إخفاءه منذ زمن طويل .. يكفى ان يعلموا السبب الحقيقى لوفاة زوجتك .

صرخ به الشيخ (مراد) فى حدة :

— كفى يا رجل .. كفى .. اصمت .

ارتفع صوت (صالح) ، وهو يقول :

— لا .. سيرتفع صوتى اكثر .. ساخبر الجميع ، ما لم تنقدنى المبلغ الذى طلبته .

صاح به الشيخ (مراد) :

— حذار أن تفعل يا (صالح) .. حذار أن تخبر اهل القرية بحرف واحد وإلا ....

قاطعه (صالح) متحديا :

— وإلا ماذا ؟

انتبهت حواسى كلها فى شدة ، وأنا اتمنى أن اسمع الشيخ (مراد) يهدده بالقتل ، إلا اننى — وبدلا من ذلك — سمعت (صالح) يصرخ بغتة :

— لا .. لا ..

كان صوته يحمل رعبا هائلا ، جمد الدماء فى عروقى ، وهو يستطرد :

— لا .. لست أريد النقود .. لا تفعل بى هذا .. لا .. لا ..

واعقب هذا صرخة رهيبة ، جمعت اطنانا من الألم والرعب واليأس ..

صرخة إنسان اصابه رعب هائل ..

إنسان يحتضر ..

ولست ادرى كيف واتتنى الشجاعة بعدها ، ولا كيف اندفعت نحو باب منزل الشيخ (مراد) ، واقتحمته فى قوة ؟..

كل ما أذكره هو أننى قد تجمدت فى مكانى فور ذلك ، وتسمرت عيناى أمام مشهد مذهل ..

لقد كان (صالح) هذا رجلا ضخما ، يزن ما يزيد على المائة كيلوجرام ..

وكان هناك قائم حديدى فى ردهة المنزل ، مثبت بالحائط ، ويخترق ظهر (صالح) ، لينفذ من قلبه ، وقد جحظت عينا هذا الأخير ، وخبا فيهما بريق الحياة ..

وكان هذا القائم الحديدى على ارتفاع مترين ونصف متر من أرض الردهة ..

ومرة أخرى قفزت إلى ذهنى كلمة واحدة ..

الجن ..

* * *

٤ ــ المستحيل !!..

حدق المأمور فى جثة (صالح) ، المعلقة بالقائم المعدنى ، على ارتفاع مترين ونصف متر من الأرض ، وهو يقول فى ذهول :

ــ مستحيل !.. كيف فعلها هذا الشيخ اللعين ؟.. كيف حمل هذا البغل إلى ذلك الارتفاع ، و ....

بتر عبارته ، ثم التفت إلى الشيخ (مراد) ، يهتف به :

ــ كيف فعلتها بالله عليك ؟

خفض الشيخ (مراد) عينيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فهتف المأمور فى عصبية زائدة :

ــ كيف فعلتها ؟

قلت محاولا تهدئته ، على الرغم من الانفعال الشديد ، الذى يملأ جسدى والذى لم يفارقنى منذ رأيت الجثة المعلقة :

ــ اهدأ .. أنا شاهدت ما حدث هذه المرة .

حدق فى وجهى ، وهو يهتف :

ــ شاهدت الجن ؟

زفرت قائلا :

ــ من حسن الحظ أننى لم أفعل .

ثم أضفت :

ــ ولكننى اقتحمت الباب فور سماع صرخة الرعب الهائلة ، التى انطلقت من حنجرة (صالح) قبيل مصرعه ، وعندما

فعلت ، كان الشيخ (مراد) يقف فى منتصف الردهة ، وكان (علوان) أمام باب حجرته ، فوق مقعده المتحرك ، ولم يكن هناك بشرى آخر فى المنزل .

تراجع المأمور ، وهو يحدق فى وجهى فى ذهول ، ثم غمغم مرة أخرى :

ــ مستحيل !!

وأدار وجهه ليحدق فى وجه الشيخ (مراد) مكررا :

ــ مستحيل !!

ثم هتف وهو يلوح بكفه ساخطا :

ــ سيتهموننا بالجنون ، لو ذكرنا هذا فى تقريرنا .. لن يمكننى أن أتهم رجلا ــ بصفة رسمية ــ بتسخير الجن للقتل.

أشرت إلى جثة (صالح) ، مغمغما :

ــ الديك تفسير آخر ؟

ألقى نظرة على الجثة بدوره ، ثم لوح بكفه ، قائلا فى حدة :

ــ لا .

ثم استدرك فى عصبية :

ــ ولكن هذا لا يعنى أن أتهم الجن فى تقريرى .

قال الشيخ (مراد) بغتة :

ــ لا أحد هنا يتصل بالجن .

التفت إليه المأمور فى حدة ، وصاح به ، وهو يشير إلى جثة (صالح) :

ــ من فعل هذا إذن ؟

تجمدت ملامح الشيخ (مراد) لحظـة ، ثم عاد يخفض عينيه ، مغمغما :

ـ انا فعلتها .

صاح به المـأمور :

ـ كيف ؟ .. هـل حملت رجـلا يزن ما يزيد على المائة كيلوجرام ، ورفعته مترين ونصفا عن الأرض ، ثم غرسته فى ذلك القائم المعدنى ؟ .. هراء !.. ما من مخلوق بشرى يمكنه هـذا .

اجابه الشيخ (مراد) فى صلابة ادهشتنى :

ـ اقول لك انا فعلت هذا .

ندت من (علوان) همهمة اليمة ، جعلتنى التفت إليه فى حركة سريعة ..

وشاهدت الدموع فى عينيه ..

دموع مريرة ، دفعتنى إلى ان اقول :

ـ لا بأس يا شيخ (مراد) .. سنقتنع بأنك انت فعلت هذا .

بدا الارتياح على وجهه ، وسألنى فى لهجة خالية من اية انفعالات :

ـ هل ستطلقون القبض على ؟

اجبته فى هدوء :

ـ ليس بعد .

حدق المـأمور فى وجهى ، وهتف مستنكرا :

ـ ماذا تعنى ؟.. إننا سنلقى القبض عليه حتما .

قلت فى صرامة :

ـ إنه قرارى انا .

واشرت إلى (علوان) ، مستطردا :

ـ سيبقى فى منزله لرعاية ابنه ، وسنقيم عليه حراسة ، لحين إثبات التهمة .

هتف المـأمور فى دهشة :

ـ إثبات ماذا ؟!.. إنك انت الشاهد .

اجبته :

ـ شهادتى لا قيمة لها ، ما لم اثبت انه هو الذى قتل (صالح) .

صاح المـأمور ، وهو يلوح بكفه محنقا :

ـ هراء .. انت تعلم انه سيدان ، إن عاجلا او آجلا ، إنك تشفق على ابنه فحسب .

ولوح بذراعيه فى الهواء بقوة ، مستطردا :

ـ من يؤكد لك ان ابنه مقعد بحق ؟.. ربما هى خدعـة دنيئة اخرى .

مال الشيخ (مراد) نحو ابنه ، ورفـع طـرف جلبـاب (علوان) ، وهو يشير إلى ساقى هذا الأخير ، قائلا :

ـ هل تبدو لك ساقاه قادرتين على الحركة ؟

كان الجواب واضحا تماما ، فقـد كانت ساقا (علوان) هزيلتين ، على نحو لم اعهـده فى مخلوق بشرى ابدا ، حتى

لقد بدتا اشبه بعصبين رفيعتين ، وكأنما لا تحتويان على اية عضلات ، وبدت قدماه كمطرحتين فى عظام يابسة ، جعلت المأمور يشيح بوجهه ، قائلا فى حدة :

ـ حسنا ، فليبق لرعاية ابنه ، ولكننى سأترك ثلاثة رجال لحراسته .

وعاد يلتفت إلى الشيخ (مراد) ، مستطردا فى غضب ثائر :

ـ ولكنك ستدان لعملك هذا يا رجل ، وستكلل حياتك الغامضة فى هذه القرية بعار لا مثيل له ، ولن ينقذك من هذا المصير الأسود سوى الموت .. هل تفهم ؟.. الموت وحده .

وغادرنا جميعا المكان ، مع المأمور الثائر ، وفى قلب كل منا مزيج من الحيرة .. والخوف ..

* * *

كانت احلامى اقرب إلى الكوابيس فى تلك الليلة ..

رأيت نفسى أعدو فى طرقات القرية ، وقد خلت من كل سكانها ، وبدت اشبه بمقابر خاوية مخيفة ..

ثم ظهر الشيخ (مراد) ..

وظهر جنى رهيب مخيف ..

وصرخ الشيخ (مراد) باسمى ، وهو يشير إلى ..

وانقض على الجنى ..

وانتزعنى من الأرض ..

وصرخت ..

صرخت بكل الرعب فى اعماقى ..

واقترنت صرختى بطرقات عنيفة ..

وبصوت أجش يهتف باسمى ..

وفجأة .. استيقظت ..

وتلاشى الحلم كله ، فيما عدا الطرقات والهتاف ..

وشعرت بتوتر بالغ ، وانا اغادر فراشى ، وافتح باب المنزل ، لأهتف فى وجه الخفير :

ـ ماذا هناك ؟

أجابنى بصوته الأجش ، وأسلوبه الفظ ، الخالى من اللياقة :

ـ البك المأمور كلفنى إحضارك .

سألته فى قلق :

ـ اهى جريمة قتل اخرى ؟

أجابنى فى بساطة :

ـ بل حالة وفاة .

ثم أضاف :

ـ لقد توفى الشيخ (مراد) .. توفى فى فراشه ، منذ نصف الساعة .

* * *

٥ ـ الإرث ..

كان وجهه هادئا للغاية ..
وكان مستسلما للموت فى بساطة عجيبة ..
وغمغم المأمور ، وهو يتطلع إلى وجهه :
ـ من الواضح انه قد مات خلال نومه .
تمتمت ، وانا اتطلع بدورى إلى وجه الشيخ (مراد) :
ـ وبلا ادنى الم .
سألنى المأمور :
ـ هل ستصرح بدفن الجثة ؟
تنهدت وانا اجيب :
ـ ليس قبل ان يفحصها الطبيب الشرعى .
اومأ برأسه موافقا ، ثم قال فى ارتياح واضح :
ـ اظن ذلك يضع نهاية لكل تلك الأحداث المخيفة .
غمغمت :
ـ تقريبا .
وادرت بصرى إلى حيث يجلس (علوان) فوق مقعده المتحرك ، وقد بللت الدموع وجهه ، واشتركت مع صمته الإجبارى فى صنع لوحة ماساوية رهيبة ، دفعتنى إلى ان اغمغم فى إشفاق :
ـ ترى من سيرعى ذلك المسكين ؟
القى المأمور نظرة على (علوان) ، وغمغم :
ـ من يدرى ؟.. ربما يرعاه الجن .
غمغمت فى ضيق :

ـ هذه الأمور لا تحتمل السخرية .
لم نتناقش انا وهو هذا الأمر مرة اخرى ، طوال طريق العودة ، حتى قال هو ، وهو يودعنى عند منزلى :
ـ هناك قضية سرقة مواشى اخرى ، متى تنوى التحقيق فيها ؟
اجبته شاردا :
ـ ربما غدا .
ودلفت إلى منزلى ، الذى بدا لى هذه المرة خاويا للغاية ، والقيت جسدى المنهك فوق فراشى الصغير ، وحاولت ان ادفع النوم إلى عينى ، إلا ان عقلى راح ـ على الرغم منى ـ يسترجع كل احداث تلك القضية العجيبة ..
مصرع (حجاج) ..
الحجر الضخم ..
مقتل الحاج (مندور) ..
الجن ..
جثة (صالح) المعلقة ..
الشيخ (مراد) ..
(علوان) ..
وفجأة ، وجدت نفسى اعتدل جالسا ، وانا اهتف :
ـ ولكن كيف ؟!.. كيف يفهم لغة الشفاه ، وقد ولد اصم ابكم ؟
دارت الأحداث كلها فى ذهنى ، على نحو مختلف ، ووجدت نفسى اهتف :
ـ يا إلهى !!..
وقفزت من فراشى ، واختطفت مجلة كنت اطالعها منذ

اسبوع ، ورحت اقلب صفحاتها فى لهفة ، حتى عثرت على موضوع علمى طريف ، لم اوله الكثير من الاهتمام فى حينه ، ورحت اقراه فى لهفة بالغة ، قبل ان اهتف مرة اخرى :

ـــ يا إلهى !!

وباقصى سرعة ، رحت ارتدى ثيابى ، وانطلقت اعدو نحو منزل الشيخ (مراد) ، ولقد شعر الشرطى الذى تركنـــاه لحراسة المنزل بالدهشة ، عندما رآنى اعود إليه بعد اقل من ساعة ، واهتف به :

ـــ هل وصل الطبيب الشرعى ؟

اجابنى فى دهشة :

ـــ نعم يا سيدى .. لقد وصل منـــذ قليل ، وسيبدا عمله على الفور .

هتفت فى جزع :

ـــ يا إلهى !!

واقتحمت المنزل فى عنف ، وركضت حتى حجرة (علوان)، ولم اكد اقتحمهـــا ، حتى اتسعت عينـــاى فى رعب وتوتر بالغين ..

كان المشهد رهيبا حقا ..

كان الطبيب الشرعى المسكين ملتصقا بالحائط فى رعب ، وقد غاصت الدماء من وجهه ، فصار شاحبا ، ينافس وجوه الموتى الذين اعتاد التعامل معهم ، وعينـــاه معلقتان بجثـــة الشيخ (مراد) .

وكانت الجثة تسبح فى الهواء ..

نعم ..

كانت تسبح كانها فى منطقة انعدام وزن ..

وعلى قيد خطوات ، عند ذلك الباب الذى يصل بين حجرة الشيخ (مراد) ، وحجرة ابنه (علوان) ، كان هـــذا الاخير يجلس فوق مقعده المتحرك ، وقد تركزت عينـــاه البارزتان على الجثة المعلقة ، وزاد بريقهما حتى بدتا اشبه بمصباحين متقدين لامعين ..

ولم يكـــد الطبيب الشرعى يرانى ، حتى هتف فى هـــلع ورعب :

ـــ هذا سحر مبين ، او فعل من افعال الجان .

قلت وانا فى انبهار تام :

ـــ بل هى قوة العقل يا رجل .

غمغم فى ذهول :

ـــ العقل ؟!

تجاهلت دهشته ، وانا التفت إلى (علوان) ، قائلا فى إشفاق :

ـــ اهدأ يا (علوان) .. اهدأ .. لقد ادركت كل شىء .. ادركته فجأة .. لم يكن والدك هو الذى ورث قدرة ابيه .. بل كنت انت .. انت نلت الإرث كله .. إنه ليس اتصالا بالجان، كما تصورت عقول اهل القرية ، محدودة الثقافة .. بل هى قوة العقـــل .. قدرته على تحريك الاشياء عن بعـــد .. تلك القوة التى يطلق عليهـــا علمـــاء ما فوق الطبيعيـــات اسم (السيكوكينيزيس) .. لقد كان جدك يملكها ، ولكنه لم يحسن استغلالها ، بل اهدرها فى بعض العبث ، ودفع الحمى لمناطحة بعضه البعض ، اما انت فقـــد كان ضعفك الجسدى دافعا لك لتنميتها ، والقفز بها إلى درجة هائلة ، اثارت خوف والدك وقلقه ، وخاصة بعد ان قتلت امك دون

قصد ، عندما اغضبتك ، وانت بعد فى السادسة من عمرك .. لقد اعتزلك الناس بعدها ، خشية ان ينتبهوا إلى قدرتك المذهلة ، ويتهموك بالاتصال بالجن بدورك .. ولقد حرصت بدورك على كتمان السر ، لانك كنت تحب اباك .. وحبك هذا له ، هو الذى دفعك إلى قتل (حجاج) ، عندما راح يحاول ابتزاز والدك ، فلقد دفعت الحجر الضخم بقوة عقلك ، وجعلته يطير ، ويهوى على راس (حجاج) ، ويقتله .. وادرك والدك ما حدث ، عندما اسرع يفحص الجثة ، وعاد يطلب منك عدم ذكر ما حدث .. ولكن الحاج (مندور) رأى والدك يفحص جثة (حجاج) ، وتصور انه هو الذى قتله ، واغضبك ان يدلى بشهادة تدين والدك فى هذا الشأن ، فاستخدمت قوة عقلك لترفعه عن الارض ، وتلقى به من عل .. ولان المسكين كان يؤمن بالجن ، فلقد تصور ان والدك قد ارسل جنيا ليعاقبه على شهادته ضده .

كنت استطرد فى الكلام فى سرعة ، والدموع تتكون فى عينى (علوان) فى بطء ، وجسد والده السابح فى الهواء يهبط تدريجيا نحو الفراش ، والطبيب الشرعى ما يزال ملتصقا بالحائط فى رعب ، فرحت اتابع :

ــ ثم جاء (صالح) ، محاولا ابتزاز والدك بدوره ، إذ يبدو انه قد رآك تستخدم قواك المذهلة يوما ، فما كان منك إلا ان رفعته بقوة عقلك ، وغرست جسده الضخم فى القائم المعدنى .

التمعت عينا (علوان) بالدموع ، وكان جسد والده يلامس الفراش ، وانا اتابع فى اسى :

ــ ثم جاء دور والدك ، بعد ان هدده المأمور بالعار

والفضيحة ، واخبره ان الموت وحده ينقذه منهما .. لقد كنت تحب والدك يا (علوان) ، ولهذا قتلته .

انهمرت الدموع من عين (علوان) فى مرارة ، واستقر جسد والده تماما فوق الفراش ، وانا اضيف :

ــ قتلته حتى لا يتعرض للفضيحة والعار .. اوقفت نبضات قلبه بقواك العقلية ..

راح (علوان) يبكى فى حرارة ، وهو يتطلع إلى جثة والده ، المسجاة فوق الفراش ، فغمغم الطبيب الشرعى ذاهلا :

ــ إذن فهو فعل كل هذا .. هو !!

غمغمت ، وانا اتطلع إلى (علوان) مشفقا :

ــ نعم .. هو فعل كل هذا .. لقد اثبت ان قوة العقل تتفوق على قوة الجسد .. لقد ادركت انه يمتلك عقلا نادرا ، عندما ادهشنى كيف انه يستطيع قراءة حركات الشفاه ، وهو لم يسمع صوت بشرى من قبل ..

غمغم الطبيب الشرعى فى خوف :

ــ إنه قاتل إذن .. وينبغى ان يسجن .. وينبغى ان ...

فجأة ، رفع (علوان) عينيه إلينا ، وبرزت عيناه على نحو مخيف ، وهو يصرخ ..

وكانت صرخته هائلة ..

وارتفع جسدى فى الهواء فى قوة ، وصرخت بدورى فى رعب :

ــ لا يا (علوان) .. لا ..

ثم ارتطم جسدى بالحائط ..

وسقطت فاقد الوعى ..

او فاقد الحياة .

* * *

٦ ــ النهـاية ..

كان وجه المـأمور هو اول ما طالعنى ، عندما استعدت وعيى فى الوحدة الصحية للقرية ، ولم اكد اراه حتى غمغمت فى ضعف : ــ (علوان) .. إنه ...

قاطعنى فى خفوت : ــ لقد انتهى الأمر .

سألته فى جزع ، وانا اشعر بصداع شديد يكتنف راسى :

ــ ماذا حدث ؟

اجابنى فى ضيق :

ــ الطبيب الشرعى لقى مصرعـه .. ارتطمت راسـه بالأرض ، ومات على الفور .

هتفت فى مرارة : ــ و (علوان) .

اجابنى فى اقتضاب : ــ مات .

اتسعت عيناى فى ذهول ، وانا اقول :

ــ مات ؟!.. كيف ؟

اجابنى وهو يشيح بوجهه ، ويغلق عينيه ، وكانما يخشى حتى تذكر الأمر :

ــ انفجرت راسه .. كان مشهدا رهيبا .

غمغمت ذاهلا :

ــ انفجرت راسه ؟

وهززت راسى فى قـوة ، وكاننى امنع عقلى من تخيـل المشهد ، وغمغمت : ــ هذا ينهى كل شىء .

سألنى المـأمور فى توتر :

ــ كان هو .. اليس كذلك ؟

تمتمت : ــ بلى .

زفر فى قوة ، وسألنى :

ــ كيف ستذكر ذلك فى تقريرك ؟.

قلت وانا استرخى مرة اخرى فى فراشى :

ــ لن اذكر شيئا .

قال فى حيرة :

ــ كيف ستبرر كل تلك الجرائم إذن ؟

اجبته فى خفوت :

ــ لن يصدق مخلوق واحد الحقيقة ، لو اننى ذكرتهـا فى تقريرى ؛ لذا فليس امامى سوى استخدام تلك العبارة ، التى يبغضها كل وكيل نيابة شاب .

سألنى فى اهتمام : ــ اية عبارة ؟

سرح ذهنى مع استعادة تفصيل الأمر كله منذ البداية ، قبل ان اجيبه فى حزم :

ــ العبارة التقليدية : « ولقـد قيدت كل هذه الحوادث ضد مجهول » .

ابتسم وهو يقول : ــ نعم .. هذا افضل .

واسترخى فى مقعده ، مستطردا :

ــ إنها فعلا تناسب هذا القول .

وتنهد مردفا :

ــ ضد مجهول ..

* * *

[تمت بحمد الله]

حلول اختبر معلوماتك

١ ــ (عبلة) هى المراة المكتنزة .

٢ ــ كان يستوطنها الكنعانيون .

٣ ــ هوارى بومدين .

٤ ــ (قوازق) تعنى (المغامر) بالتركية ، وشعب (القوازق) مسيحى ارثوذكسى .

٥ ــ لا قرابة بينهما على الإطلاق ، فالاسم (غاندى) من زوجها (فيروز غاندى) .

٦ ــ (الهند) ، منذ اكثر من خمسة آلاف سنة .

٧ ــ (ألمانيا) ، وقد بدات تنفيذه فى الحرب العالمية الاولى (١٩١٦) .

٨ ــ الفريصة هى عضلة بين الثدى والكتف ، ترتجف عند الشعور بالخوف .

٩ ــ (بريطانيا) ، لانها اول دولة اصدرت الطوابع .

١٠ــ (القاموس) : هو البحر الكبير .

١١ــ (الرفاء) : هو الاتفاق والتفاهم .

١٢ــ البوذية تسمح بتعدد الزوجات ، دون أية قيود عددية .

١٣ــ أصلها فارسى ، ويتكون من مقطعين (باء) و (جاما : ، ومعناها (غطاء الأرجل) .

١٤ــ (المظ) : صفة من صفات الفرس ، وهى ان تكون شفتها السفلى بيضاء ، وهى علامة جمال للخيل .

١٥ــ (أنشودة الفؤاد) ، وهو بطولة (جورج ابيض) و (نادرة) ، و (زكريا أحمد) .

١٦ــ (الخنساء) : هى الظبية .

١٧ــ أطلق الأتراك عليه هذا الاسم ، لكثرة غيومه وعواصفه ، وكانوا يخشون الإبحار فيه .

١٨ــ اللغة الباشتوية ، وهى من أصل إيرانى ، وتكتب بأحرف عربية .

١٩ــ المملكة العربية السعودية ؛ لأن علمها يحمل شهادة ان لا إله إلا الله ، وان محمدا رسول الله .

٢٠ــ ابتكرتها زوجة مهراجا هندى ، لتلهى زوجها عن نتف شعر لحيته .

* * *

رقم الإيداع : ٨٩ / ٥٠٠١
١ ــ ٣٢٠ ــ ١٦٣ ــ ٩٧٧

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص والروايات المصرية
قمة في التشويق والإثارة

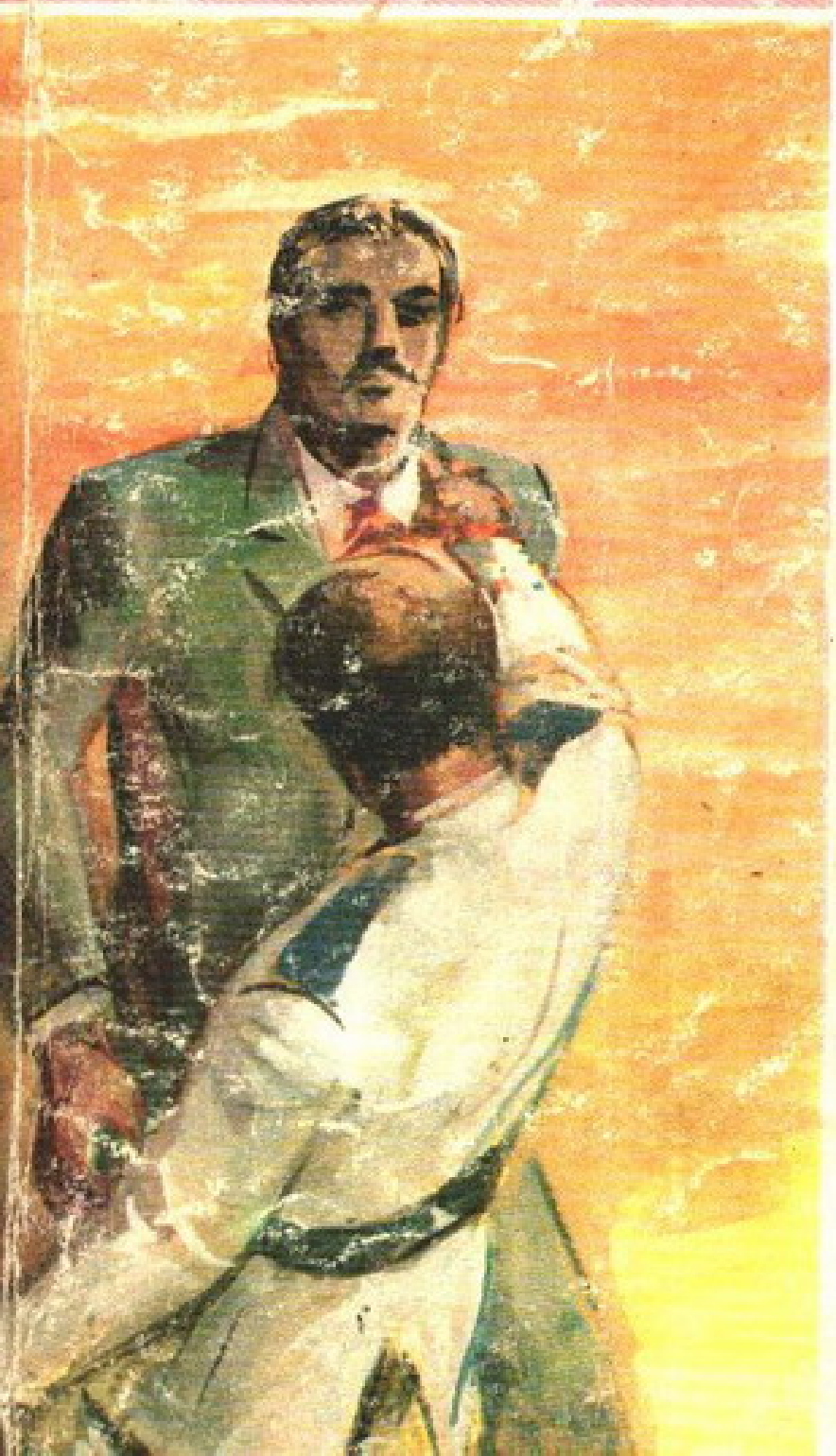

في هذا العدد

صفحة

- الولد (قصة قصيرة) ٥
- السقوط (قصة قصيرة) ١٠
- أرقام قياسية ١٤

العقرب سلسلة جديدة

سيف العدالة ... ١٧

- الحلم (قصة قصيرة) ٧٢
- اختبر معلوماتك ٨٤

أرزاق

- رواية اجتماعية طويلة ٨٧
- كابتن غريق (كاريكاتير ساخر) ١٣١
- القشة (قصة قصيرة) ١٣٩
- الوحش (قصة قصيرة) ١٤٤

قصة العدد

ضد مجهول .. ١٤٧

- حلول اختبر معلوماتك .. ١٩٠
- رسالة المؤلف ١٩٢

الثمن في مصر ١٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم